

منظومة الأمن الإسرائيلي والثورات العربية



تأليف

د. عدنان عبد الرحمن أبو عامر



الفصل الثالث

**التأثيرات الأمنية للثورات العربية
على "إسرائيل"**

التأثيرات الأمنية للثورات العربية على "إسرائيل"

دفعت الثورات العربية المحافل الأمنية والسياسية الإسرائيلية للوصول إلى قناعة مفادها أنها تعيش فترة من انعدام الاستقرار في الشرق الأوسط، وأن الجيش الإسرائيلي، ركيزتها الأكثر أهمية، بدأ يتعرض لهزات ثقيلة في ضوء الزلزال الذي يضرب العالم العربي، لأنها لا تعرف بعد كيف ستنتهي الثورات.

لكن أكثر ما أخاف "إسرائيل" من تبعات الثورات العربية أن تحل سلطات "متطرفة" محل الأنظمة الزائلة، مما دفعها بعد نجاح الثورة في عدد من الدول، لأن تعد العدة لهذه التغييرات، والطلب من الولايات المتحدة ودول الغرب رهن تأييد الأنظمة الجديدة بشرط عدم المساس بها مطلقاً، وفقاً لما أكده يوثيل جوجانسكي Yoel Guzansky الباحث الاستراتيجي الإسرائيلي¹.

في الوقت نفسه، جرت اتصالات أمنية مكثفة بين "إسرائيل" والولايات المتحدة بشأن ما قد يحدث في البلاد العربية بعد هذه التطورات، وأوفدت وزارة الخارجية الإسرائيلية عدداً من دبلوماسييها لبعض العواصم الغربية لعقد سلسلة من اللقاءات العاجلة مع المسؤولين فيها.

على كل الأحوال، فقد أعربت "إسرائيل" عن أملها بأن تتحقق السيناريوهات "المتفائلة" التي وضعتها بشأن تطورات الأحداث في العواصم العربية، وليس "المتشائمة"، بما لا يتيح لعناصر إسلامية إمكانية السيطرة على السلطة، وهو ما من شأنه أن يلحق ضرراً كبيراً بها².

ويمكن الحديث عن جملة من التأثيرات السلبية والتبعات السيئة التي عاشتها "إسرائيل" في سنوات الثورات العربية بين سنتي 2011-2015، على النحو التالي:

¹ إسرائيليون: نار الثورة العربية ستنتشر، الجزيرة.نت، 2011/3/4، انظر: <http://bit.ly/1WzWziP>

² عدنان أبو عامر، رؤية مراكز الأبحاث الإسرائيلية للثورات العربية، موقع مركز إفريقيّة للدراسات والبحوث السياسية، 2014/6/25، انظر: <http://www.ifriqiyah.com/detail/16553>

أولاً: العزلة الإقليمية:

افتترض التحليلات الإسرائيلية أن القوى المعادية لـ"إسرائيل"، خصوصاً الإخوان المسلمون، لا سيما في مصر، سيسيطرون على مقاليد الحكم، وبعد مرور فترة زمنية سيتمدون إلى الجيش المصري، الأقوى في الشرق الأوسط بعد الجيش الإسرائيلي، وهنا تكمن المشكلة الكبيرة لـ"إسرائيل"، لأن ذلك سيعني تحديد هذه القوى في العقود القادمة القريبة للأجندة السياسية في المنطقة.

وأكد عدد من الخبراء الأمنيين الإسرائيليين، أن التطورات العربية تمثل ضائقة استراتيجية لـ"إسرائيل"، وستؤدي لتداعيات سياسية خطيرة تؤثر في واقعها بشكل مباشر، ومنها:

1. ازدياد عزلة "إسرائيل" في المنطقة، بعد خسارة حليفها الأهم، وسقوط مبارك.
2. القلق من نتائج الصراع بين "القوى الديمقراطية والإسلامية" في مرحلة ما بعد الثورة، حيث ظهرت مخاوف من حسم الصراع لصالح سيطرة الإسلاميين على الحكم³.
3. تراجع الدور الإقليمي لـ"إسرائيل"، وخسارة التوازنات الدقيقة التي قادتها في الشرق الأوسط، وصبت في النهاية لمصلحتها.
4. تضيق الهامش الذي تتحرك فيه السياسة الإسرائيلية في المنطقة، في ظلّ التوقعات بنشوء حكومات مختلفة في بعض الدول العربية، يكون للرأي العام الشعبي دور أكبر في تشكيل سياساتها، كما يرى المستشار السابق لرئيس الوزراء دانييل ليفي Daniel Levy.
5. الخوف من التحول التدريجي لمصر، لتصبح دولة إقليمية قوية على الطراز التركي، مما يضع "إسرائيل" في مواجهة محور إقليمي يضم: إيران وتركيا ومصر، قبل الانقلاب الذي حصل أواسط 2013، وأسقط الرئيس المنتخب، وأتى بحكومة ترتبط بتحالف استراتيجي مع "إسرائيل".

³ الثورات العربية تقلق الإسرائيليين، موقع نجوم مصرية، 2011/2/27، انظر:

<http://www.nmisr.com/vb/showthread.php?t=264368>

6. القلق من استمرار حالة عدم الاستقرار في المنطقة العربية، والتأكيد بأن الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط أهم من الديمقراطية بالنسبة لـ "إسرائيل"⁴.
7. الخوف من قيام انتفاضة فلسطينية ثالثة، على غرار الانتفاضة الأولى، في الضفة الغربية وداخل الخط الأخضر، مع اكتساب زخم جديد من التطورات العربية، ومواكبة إعلامية كبيرة توفرها الفضائيات التي لم تكن موجودة إبان سنوات الانتفاضة الأولى.

وعقدت المحافل الأمنية ودوائر صنع القرار الإسرائيلي سلسلة طويلة من الجلسات لمناقشة التقديرات الاستخباراتية للحراك العربي، بمشاركة أعضاء مجلس الوزراء المصغر للشؤون السياسية والأمنية، وكبار ضباط هيئة الاستخبارات العسكرية، وجميع الجهات والمراجع المختصة في شؤون تقديرات الموقف، وأكدت جميع التوصيات الصادرة عن تلك الجهات على نتيجة خطيرة مفادها أهمية اتفاق السلام مع الدول العربية المجاورة، لا سيما مصر، أكبر دولة عربية، كونه أخرجها من دائرة الصراع، وغير قواعد اللعبة.

وقال دان مريدور⁵ Dan Meridor وزير الاستخبارات الإسرائيلية السابق إن أجهزة المخابرات فوجئت بالاحتجاجات الشعبية وحجمها في مصر وتونس وسواهما، لأنها وضعت "إسرائيل" أمام احتمالات جديدة، وظروف تتطلب البحث عن حلفاء جدد وشراكات استراتيجية في العالم العربي، ومع القوى الجديدة الصاعدة في العالم مثل الصين والهند، بالرغم من أن الولايات المتحدة أقوى الحلفاء وأهمهم، لكن العالم يتغير ويتحرك، والتطورات الحالية وفرت لـ "إسرائيل" احتمالات جديدة، وجعلتها تبحث عن شراكات استراتيجية جديدة مع الدول العربية المعتدلة، لأن المصالح الجديدة تجلب علاقات بعضها ما يزال تحت الطاولة، وبعضها فوقها⁶.

⁴ في تقرير المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار" الاستراتيجي 2012: إسرائيل عادت تعاني من عزلة خارجية غير مسبوقة وفقدت حلفاءها المؤثرين في منطقة الربيع العربي، الحياة الجديدة، 2012/3/29، انظر: <http://alhayat-j.com/pdf/2012/3/29/page13.pdf>

⁵ دان مريدور: من رموز حزب الليكود، ضابط مدرعات في الجيش، حصل على الإجازة في الحقوق من الجامعة العبرية، ثم قاضياً بالقدس، انتخب نائباً في الكنيسة، وعضواً في لجنة الخارجية والأمن، ومراقباً لدى السوق الأوروبية، عين وزيراً للعدل والمالية، وترأس لجنة الخارجية والأمن بالكنيسة، يرفض تقسيم القدس، وأي مفاوضات قبل وقف إطلاق النار وتفكيك خلايا المقاومة، ولا يرى للاجئين أي حق في العودة لديارهم.

⁶ هاجر دياب، عاصفة الإسلاميين "تضرب" إسرائيل، الأهرام المسائي، موقع الأهرام الرقمي، 2012/9/5، انظر: <http://digital.ahram.org.eg/articles.aspx?Serial=1014794&eid=1226>

ولذلك تزايدت الدعوات بوجوب قيام حكومة ننتيا هو بخطوة دراماتيكية تؤدي لحل النزاع مع الفلسطينيين، لتقوية "الدول المعتدلة" في المنطقة أمام "المخاطر المحدقة"، في ظل التخوف الأمني من تداعيات الثورات، باعتبار أن الأنظمة العربية الجديدة ستكون منشغلة بتحقيق استقرار شعوبها وتطلعاتها، مما قد يؤثر على استقرار "إسرائيل" في المنطقة.

وطرحت تخوفات أمنية من فرضية انسحاب مصر، ولو نسبياً، من محور "الاعتدال العربي"، وتحولها إلى "محور الممانعة"، ما يُشكّل خطراً أمنياً وجغرافياً وسياسياً كبيراً على "إسرائيل"، لأنها ستعيش في منطقة غير مستقرة، وستحاول الجهات المعادية استغلال الوضع الناشئ لزيادة نفوذها، ومن شأن هذه الخطوات والتطورات أن تعزز صحة ما يقال إن حاجاتها الأمنية ستزداد، مما يقتضي زيادة ميزانيتها.

وعلى الرغم من أن التونسيين بدأوا مسيرة الثورات العربية، وينسب إليهم قصب السبق، لكن الثورة المصرية بقيت عنوان التغيير الإقليمي والدولي، نظراً لوزنها في "التاريخ والجغرافيا والديموجرافيا"، وهو ما من شأنه أن يفاقم العزلة والحصار الدولي للذين تعززوا ضد "إسرائيل"، ويعكس التحول الذي بدأ يظهر في توازن القوى الإقليمية عقب سقوط نظام مبارك، خصوصاً وأنها قد ترسل إشارات فحواها أنها لم تعد ملتزمة بالحلف الاستراتيجي معها كما كان في عهده، وأصبحت مستعدة للتعاون مع دول معادية لها كتركيا⁷.

وكان واضحاً للأوساط الأمنية الإسرائيلية أنه منذ اندلاع الثورة المصرية، ازدادت "برودة السلام البارد أصلاً" مع القاهرة، وأقرت أنها تعيش فترة من انعدام الاستقرار في الشرق الأوسط، وشعر الإسرائيليون أنهم يلعبون في الوقت الضائع، ولا بدّ لهم من القيام بإجراء سياسي حتى يجدوا أنفسهم في وضع يمكن مواجهته، والتعامل معه، لأنّ البديل عالم مختلف ونظام آخر يتسم بمزيد من المعاداة لهم، والشيء الواضح بالنسبة لهم أنهم خسروا مصر خسارة فادحة، فهي الدولة العظيمة بجوارهم، ولديها أقوى جيش، وهي من أكبر الدول.

⁷ مارك هيلر، رداً فعل إسرائيل على الربيع العربي، موقع بوابة الشروق، 2012/4/25، انظر :

<http://www.shorouknews.com/columns/view.aspx?cdate=24042012&id=f092197f-155c-4ba4-8b78-624e22c0cc0b>

وقال وزير الدفاع الإسرائيلي الأسبق بنيامين بن إيعازر، الصديق الشخصي لمبارك، أن وضع "إسرائيل" بعد اندلاع الثورات العربية أصبح أسوأ، فالوضع في مصر ليس بسيطاً، بل خطيراً، ويسير بتسارع، بعد أن تمتعنا على مدار ثلاثين عاماً بالسلام على جبهتها، ليس فقط بعدم وجود حرب، بل بعدم الحاجة للدفاع عن حدودنا، فإننا اليوم نفتقد مبارك، بقيادته الإقليمية لأكبر دولة، وعلاقتنا الدافئة معه، وسنفتقد الحفاظ على التوازنات الدقيقة بالشرق الأوسط⁸.

لم ينظر الخبراء والمسؤولون الأميون الإسرائيليون إلى كل الثورات العربية بالقدر ذاته من القلق، لكن الإدراك المتفق عليه أن هناك تغييراً في وزن الشارع لدى اتخاذ القرار السياسي الرسمي العربي، الذي تشكل بفعل عوامل عديدة أقلها أهمية ردّ الفعل الشعبي، أو موقف الرأي العام.

وجعلت الثورات الأخيرة موقف الشارع العربي أكثر وزناً في حسابات الأنظمة، وترافق مع قلق الحكام العرب من تخلي أمريكا عنهم على غرار بن علي، ومبارك، وصالح، والقذافي، مما سيجعلهم أكثر استجابة لتطلعات شعوبهم.

ثانياً: مستقبل اتفاقيات السلام:

تعمّق الخوف الإسرائيلي من التداعي السريع للأنظمة العربية، وانتقال الثورات من منطقة لأخرى، لأن انتقالها بهذه السرعة، وبقدر من الإيقاع المتشابه، يؤكد تحذيرات الإسرائيليين المتلاحقة من إمكانية استفادة الإسلاميين من التغيير الحاصل، لأنهم الأكثر تنظيماً وخبرة في العلاقة مع المجتمع العربي، بفعل امتلاكهم للجمعيات والمستشفيات والنوادي، وأغلب استطلاعات الرأي تعطيهم الوزن الأكبر قياساً بغيرهم.

وهنا تبرز إشكالية الفكر الأمني الإسرائيلي، لأن آلة دعايته قامت على فرضية أن مشكلة "إسرائيل" مع الدول العربية في طبيعة نظمها الديكتاتورية، لكن الثورات المتلاحقة جعلتها أكثر قلقاً من احتمالات تحرر العرب من هذه الأنظمة، وتبين أن

⁸ بن إيعازر: بكيت على مبارك.. وحذرت من الثورة فقال "لسنا تونس"، اليوم السابع، 2011/6/18، انظر: <http://bit.ly/1U0OVuh>

أنسب الأوضاع لـ "إسرائيل" تكمن في استمرارها، كما أن اتساع قاعدة التحرر العربية سيفقدونها شعار "الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"⁹.

ولذلك بدأت المنظومة الأمنية الإسرائيلية بعد نجاح الثورة المصرية، تعد العدة لتغيير السلطة، وطلبت من نظيراتها في الولايات المتحدة ودول الغرب رهن تأييد النظام الجديد بالاحترام الكامل لاتفاق السلام معها، والإيضاح للسلطة المصرية الجديدة ضرورة تنفيذ شروط حصولها على الشرعية في الغرب، أهمها احترام الاتفاقات كلها التي التزمت بها السلطة السابقة.

في الوقت نفسه، جرت اتصالات مكثفة بين أجهزة المخابرات الإسرائيلية والغربية بشأن ما قد يحدث في مصر بعد الثورة، وعلى الرغم من أن المحافل الأمنية الإسرائيلية، لا سيما الموساد وأمان، استبعدت قيام النظام المصري الجديد بإلغاء اتفاق السلام، لكنه في المقابل سيتوقف عن لعب دور النجاة لـ "إسرائيل" في محاولاتها للخروج من العزلة الدولية المفروضة عليها، وسيقوم بتحسين علاقاته مع الفلسطينيين عموماً، بمن فيهم أعداؤها¹⁰.

لكن عوديد عيران¹¹ Oded Eran السفير الإسرائيلي الأسبق في الأردن، أظهر أهمية الالتزام باتفاقيات السلام مع العرب، لأن النظام المصري بالذات فاجأ "إسرائيل" عندما صمدت معاهدة كامب ديفيد، حين قصف المفاعل الذري العراقي 1981، وتمّ غزو لبنان 1982، واندلاع انتفاضة الحجارة 1988، وانتفاضة الأقصى 2000، وحرب

⁹ قناة الجزيرة الفضائية، "قراءة في واقع المنطقة العربية"، 2011/11/24، الجزيرة.نت، انظر: <http://bit.ly/1PGNiDe>

¹⁰ التغييرات الحاصلة في الشرق الأوسط: تصريحات بعض الزعماء الإسرائيليين، موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، 2011/3/3، انظر: <http://www.altawasul.com/MFAAR/government/communiques++and+policy+statements/2011/ME-in-transition-Statements-by-Israeli-leaders-03032011.htm>

¹¹ **عوديد عيران**: محاضر في مركز هرتسليا متعدد المجالات، وعمل مستشاراً في السفارة الإسرائيلية بواشنطن، ومحاضراً في جامعات كولومبيا، نيويورك، نيو جيرسي، الجامعة العبرية، وسفيراً لـ "إسرائيل" في مؤسسات الاتحاد الأوروبي في بروكسل، خدم في سلك الدبلوماسية الخارجية لأكثر من ثلاثين عاماً، عين سفيراً في الأردن، وفي السفارتين الإسرائيليتين في لندن وواشنطن، أجرى مفاوضات حول اتفاق التعاون مع الاتحاد الأوروبي، وكان شريكاً في بروتوكول باريس Paris Protocol مع الفلسطينيين، ترأس طاقم المفاوضات الإسرائيلي مع الفلسطينيين لقضايا الحل الانتقالي والحل الدائم، حاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من كلية لندن للاقتصادية.

لبنان الثانية 2006، وحرب غزة 2008-2009، وبدلاً من احتجاج مصر على سلوك "إسرائيل" في تلك المحطات التاريخية، فقد حرصت على تهدئة العرب عندما أثارتهم تلك الممارسات¹².

ويذهب دان إدار Dan Eldar، المسؤول السابق في الموساد، والمحاضر لدراسات الشرق الأوسط بجامعة تل أبيب، أبعد من ذلك بالقول إن غياب مبارك سيسمح بالتعبير عن عداوة "إسرائيل" الراسخة عميقاً في الوعي الجمعي للمصريين، ولا يستبعد أن يؤدي اندماج الإسلاميين في الحياة السياسية المصرية لتحالفهم مع قادة الجيش، وأن يسهم ذلك في التعجيل بوضع حدٍّ لمعاهدة كامب ديفيد¹³.

هذه التصريحات وسواها تشير إلى تقدير إسرائيلي بأن نظام الحكم القادم في مصر لن يلجأ لإلغاء كامب ديفيد، حتى لا يخسر الشرعية الدولية، لكنه في المقابل سيعمل على إضعافها على نحو تقع المسؤولية عن إلغائها على "إسرائيل"، مما جعل الساحة الإسرائيلية تعيش حالة من الاستنفار والقلق المتزايد، في ظل ما يحصل داخل الدول العربية من تغيرات دراماتيكية، تجعل من المؤكد عدم معرفة الصورة المستقبلية في الشرق الأوسط عقب الأحداث التي يشهدها، بما في ذلك المآلات المتوقعة للعملية السلمية مع العرب والفلسطينيين، بما قد يهددها.

وبات من الطبيعي أن تصل الاهتزازات التي تشهدها المنطقة إلى "إسرائيل"، دون أن يعرف أحد فيها كيف سيكون شكلها، مما يستدعي منها العمل على إعداد خطة للتعامل مع تلك الاهتزازات، أو القيام بخطوات وقائية لمنع حدوثها، لا سيما وأن عدم وجود خطة سياسية إسرائيلية يسهم بإضعاف مكانتها في العالم، بعد أن أسهمت اتفاقيات السلام مع العرب والفلسطينيين في منحها هامش مناورة كبير للتحرك الدولي، وبالتالي فإن استمرار الثورات العربية سيؤثر على شكل الاتفاق الذي سيتم التوصل إليه مع الفلسطينيين، ما يؤكد أهمية الخروج بمبادرة سياسية إسرائيلية على أساس قرار استراتيجي ورؤية واضحة.

¹² عدنان أبو عامر، "الموقف الإسرائيلي من صعود الإسلاميين في العالم العربي"، من مؤتمر الإسلاميون في العالم العربي والقضية الفلسطينية في ضوء التغيرات والثورات العربية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2012/11/29-28، انظر: http://www.alzaytouna.net/arabic/data/attachments/ConfZ/2013/Conf_IWAPI_Adnan_AbuAmer_7-13.pdf

¹³ نبوءة قاتمة، هآرتس، 2011/2/19، انظر: <http://www.haaretz.co.il/opinions/1.1162975> (بالعبرية)

المحافل القربية من دائرة المفاوضات الإسرائيلية، قدمت سيناريوهين يمكن اللجوء إليهما لتغيير الوضع القائم على صعيد العملية السلمية بالتزامن مع استمرار الثورات العربية، أضحهما شأؤول موفاز رئيس لجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست، وهما:

1. اتفاق جزئي: لن يكون له شريك فلسطيني، ويمكن اللجوء إليه بشكل أحادي، بالرغم من وجود سلبياته.

2. سلسلة إجراءات: قد تؤدي في المستقبل لعملية سياسية حقيقية، بالدخول مجدداً في عملية سلام شاملة مع القوى الجديدة في الشرق الأوسط، وعلى الولايات المتحدة المبادرة للقيام بجولات مكوكية، لتحديد مقاييس هذه العملية، ويمكن الاستفادة من ذلك بإنضاجها¹⁴.

ولهذه الأسباب فضلت "إسرائيل" سبيل التعامل بحذر مع تطورات المنطقة، وعدم المبادرة لخطوات خطيرة، والانتظار لمراقبة ما سيحدث، لعدم تشكل الصورة الإقليمية بصورة نهائية، لما سيكون لها من تأثيرات كبيرة عند اكتمال تشكلها، ما يعني بصورة أو بأخرى أنها تضررت من ثورات العالم العربي، كما أن مكانتها في المنطقة تراجعت، وظهرت داعمة للأنظمة التي سقطت، بما يتفق مع اعتبارها لما يحصل في المنطقة العربية من ثورات، وإسقاط أنظمة موالية، أشبه بـ "صدمة تاريخية"، بحيث "أنهار الجدول مرة واحدة"، وأن الشرق الأوسط يشهد "زلزلاً وتحولاً" تاريخياً، سيلقي بظلاله التدميرية على اتفاقات السلام.

كل ذلك يعني أن الشعور بالكراهية تجاه الإسرائيليين سيلقى رواجاً بين العرب مع استمرار الثورات العربية، من خلال قادة الرأي العام والمثقفين ووسائل الإعلام، مما يسمح بالتوقع واستشراف "سنوات كئيبة" لمستقبل العلاقات العربية - الإسرائيلية. ومن المتوقع أن يسرع اندماج الإخوان المسلمين في النظام السياسي العربي القادم من وتيرة تدهور العلاقات مع "إسرائيل"، إلى حدّ إلغاء اتفاقية كامب ديفيد، في ظل رؤية ترى "إسرائيل" التهديد الرئيسي للأنظمة العربية.

¹⁴ العملية السلمية في واقع استراتيجي متغير، وقائع يوم دراسي لمعهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، آذار/مارس 2011، موقع مدونة الكاتب الإسرائيلي "زئيف غاليلي"، انظر: <http://www.zeevgalili.com/2011/03/14349> (بالعبرية)

ولذلك يمكن وضع تدرج تاريخي لمراحل تدهور العلاقات بين القاهرة وتل أبيب من خلال المرور بصيغة البلاغة الحادة المعادية للأولى، وصولاً إلى طلبات من مؤسسات الأمم المتحدة لتغيير نظام نشر القوات في شبه جزيرة سيناء، وانتهاءً بطرح طلبات للإشراف على السلاح النووي الإسرائيلي، وضرورة اتخاذ كافة التدابير المناسبة السياسية والأمنية لمواجهة "الشر القادم من الجنوب"¹⁵.

ويمكن اعتبار ما تقدم طرف "الجبل الجليدي" فقط من التغيير الجوهرى للحياة في الشبكة الاجتماعية العربية، مما سيصعب على أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التعرف على صورة هذا المسار، وتقدير ما الذي يوشك أن يحدث وأين، على صعيد العلاقات السياسية مع العرب، ومستقبل المفاوضات معهم.

كما يأتي الحديث عن أثر الثورات العربية على مستقبل العملية السلمية في ظل أن الحراك الحاصل يلقي بتداعياته على دوائر صنع القرار الإسرائيلي، على الرغم من توجه أنظارها نحو ما يجري في جميع أرجاء المنطقة من انتفاضات شعبية متداعية، وتصفها بأنها زلزال يهز أنظمة الحكم القائمة، ويهدد بنشوء واقع مغاير، وشرق أوسط جديد، سيلقي بظلاله السلبية على العلاقات السلمية، واتفاقيات التسوية مع الدول العربية.

القلق الإسرائيلي من تأثير الثورات العربية مصدره أن تعثر عملية التسوية يُعدّ عاملاً محفزاً للنزاع الشرعية عن "إسرائيل" في الفضاء الغربي في حال استمرار حالة "الثوران" في المنطقة، وقد يكون عاملاً مساعداً في تزايد حالة العزلة عليها، ولعل محاولاتها الدفع باتجاه استئناف عملية التسوية في بعض الأحيان هو أحد الخيارات المطروحة للالتفاف، أو التخفيف من الآثار السلبية، والتداعيات العديدة عليها.

كما تخشى النخب السياسية الإسرائيلية أن يُنظر لـ"إسرائيل" على أنها عامل مزعزع للاستقرار في المنطقة بسبب عدم التوصل لتسوية مع السلطة الفلسطينية، وهذا ما عبّرت عنه تسيبي ليفني من خلال كلمة ألقته في مؤتمر هر تسليا سنة 2011¹⁶.

¹⁵ بروفييسور إسرائيلي: صعود الإخوان المسلمين في سورية هو الأفضل لإسرائيل لأنه يؤدي إلى استبدال دمشق القوية بالضعيفة، وكالة سما الإخبارية، 2011/8/17، انظر: <http://www.samanews.com/ar/index.php?act=post&id=103168>

¹⁶ هيثم أبو الغزلان، مرجع سابق.

وبغياب عملية التسوية، عبر حاييم آسا مستشار الأمن القومي الأسبق، والمحاضر في معهد الإدارة التابع للمركز متعدد المجالات في هرتسليا، عن خشية "إسرائيل" أن تزيد بشكل ملحوظ حدة "الحرب الناعمة" ضدها في الساحة الدولية، من أجل نزع الشرعية عن سياستها العسكرية والديبلوماسية، أو ما يسمى في الخطاب السياسي الإسرائيلي "الحق في الدفاع عن نفسها ووجودها"¹⁷.

وربما هذا ما دفع برئيس الوزراء نتنياهو، للقول إن المنطقة تمر بمرحلة انتقالية غير مستقرة، قد تستمر سنوات عدة، آملاً أن ينتقل العالم العربي إلى ديموقراطية حقيقية، وعلى "إسرائيل" تجهيز نفسها لكل تطور، لأن تداعيات سقوط أنظمة عربية محيطة بها، تعني مزيداً من عدم اليقين بشأن وجود شريك غداً، في ضوء أن أفضل خبراء الاستخبارات ووكالاتها لم يتوقعوا ما حدث، وغير قادرين على القول كيف سينتهي هذا "الضجيج".

"إسرائيل" من جهتها لا تعرف ما سيحدث على الجهتين الغربية والشرقية لها، وليس هناك من يؤكد أن الدولة الفلسطينية المتبلورة ستصمد! وترغب بضمان اتفاقيات السلام مع مصر والأردن، في سبيل ترويح أن سبب عدم الاستقرار في المنطقة ليس الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، بل القوى الإسلامية التي تخترق كل مكان.

وهو ما دفع إيتان هابر Eitan Haber الكاتب اليومي في الصحافة الإسرائيلية، والرئيس السابق لديوان رئيس الحكومة الراحل إسحق رابين Yitzhak Rabin¹⁸، لرفع

¹⁷ حاييم آسا، وها هي التوقعات في الشرق الأوسط، الحياة الجديدة، 2011/12/9، انظر:

<http://www.alhayat-j.com/newsite/details.php?opt=8&id=155759&cid=2431>

¹⁸ إسحق رابين: رئيس الحكومة الإسرائيلية الخامس، ورئيس الأركان العامة خلال حرب حزيران/ يونيو 1967، ومن زعماء حزب العمل، عين سفيراً لـ "إسرائيل" في الولايات المتحدة، دخل الكنيست الثامنة في قائمة حزب العمل، وترأس الحكومة، لكن حكومته سقطت سنة 1977، وبقي في الكنيست، وتولى وزارة الدفاع في حكومة الوحدة الوطنية، ونجح بالحصول على أغلبية أصوات حزب العمل، وفاز في انتخابات الكنيست سنة 1992 برئاسة الحكومة. توصل لاتفاق أوسلو مع الفلسطينيين سنة 1993، وكذلك مع الأردن، ونال جائزة نوبل للسلام، وتم اغتياله على يد يميني متطرف في تل أبيب ليلة 1995/11/4. ترك الاغتيال آثاره على الحياة الإسرائيلية العامة، لأن القاتل يهودي متدين، ووجهت أصابع الاتهام واللوم لجهاز الشاباك لتقصيره في توفير حمايته، على الرغم من وصول أنباء استخباراتية حول إمكانية اغتياله.

مستوى التحذيرات من انتشار الجو الديني الإسلامي في الدول العربية، لأنه يبعدها عن "إسرائيل" أكثر، مع تراجع عدد الممثلات الإسرائيلية في المنطقة، وقطع ما وصفه بـ "مسيرة تغريب" دول عربية كثيرة، ليحل محلها "الجلابيب السوداء"، وعاد القرآن ليكون "كتاب الكتب" يُسّر كل شيء، مع تحطم "المحور المعتدل" الموالي لأمريكا من البلدان العربية، كأحجار "الدومينو"¹⁹.

وقدر المستشرق الإسرائيلي مردخاي كيدار Mordechai Kedar، أن الدول العربية التي عاشت ربيع الثورات ستعاني من دوامة المكائد السياسية وعدم الاستقرار، والأحداث التي ستشهدتها ستوفر عناوين مقلقة للغاية، وبالتالي على "إسرائيل" أن تكون في حالة تأهب ويقظة حيال التطورات القادمة، لأنها قد تهدد السلام معها، والاستقرار الإقليمي في منطقة الشرق الأوسط²⁰.

وربما يأتي التركيز الإسرائيلي على الثورة المصرية، وآثارها المتوقعة على عملية التسوية، لأن مصر شكلت على مدار العقود الثلاثة الماضية عنوان الاستقرار الإقليمي بنظر "إسرائيل"، وأصبحت بين عشية وضحاها أشبه ببركان لا يعرف أحد متى يخمد، أو أين سيلقي حممه، مما دفع ل طرح استنتاجات كثيرة أبرزها أن "إسرائيل" لا يمكنها سوى الاعتماد على نفسها، وعلى قوتها العسكرية، مما يستلزم زيادة الميزانية الأمنية.

ولهذا تراوحت السيناريوهات الإسرائيلية المطروحة بين التفاؤل والتشاؤم على مستقبل العملية السلمية، بحيث غلب على فحوى السيناريو الأكثر تشاؤماً أن حالة عدم الاستقرار في الدول العربية ستتيح لعناصر إسلامية إمكانية السيطرة على السلطة، مما سيلحق ضرراً كبيراً باتفاقات السلام معها.

في الوقت ذاته، اتفقت ردود الفعل الرسمية السياسية والعسكرية في تل أبيب، على أن الثورات العربية دشنت عهداً جديداً سينعكس على الشرق الأوسط برمته، وبضمنها ملف السلام مع العرب، وأن ملامح هذا العهد لم تتضح بعد، مما دفع

¹⁹ إيتان هابر، شرق أوسط عاصف، وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2012/3/3، انظر:

<http://paltoday.ps/ar/index.php?act=post&id=126893>

²⁰ توقع حدوث فوضى شبيهة بالعراق.. وحذرت من تهديدات لـ "القناة" والسلام: دراسة إسرائيلية: مصر عائدة إلى حكم الجنرالات، موقع الإمارات اليوم، 2011/4/4، انظر:

<http://www.emaratalyoum.com/politics/reports-and-translation/2011-04-04-1.376689>

بـ"إسرائيل" لاستمرار التأكيد على أن الأمر الأهم هو الحفاظ على اتفاقات السلام مع العرب، وعلاقات التطبيع السائدة معهم، باعتبارها رصيماً استراتيجياً، وعنصراً مركزياً في استقرار المنطقة، وفي نهاية المطاف أهم كثيراً من الديمقراطية، مما يفسر ترحيب "إسرائيل" ببيان الجيش المصري الذي أعلن استمرار التزامه باتفاق السلام معها، فور الإطاحة بمبارك²¹.

ولذلك جاء وصف "المجتمع الأمني الإسرائيلي" لما يحدث في العواصم العربية، بأنه "مأساة" ستحل بـ"إسرائيل" نتيجة تغيير أنظمة الحكم فيها، ما يعني ترجيح عودة العلاقات الثنائية لما كانت عليه قبل عدوان سنة 1967، وي طرح خوفاً أمنياً إسرائيلياً كبيراً، لا سيما بالنظر لتبعاته بعيدة المدى، حين تتوجه الشعوب العربية لصناديق الاقتراع، وتنتخب القوى المعادية لـ"إسرائيل".

ورأت تسيبي ليفني وزيرة الخارجية السابقة، أن على "إسرائيل" أن تحدد ما تريد بوضوح دون انتظار نتائج الثورات، ولا تطورات الأحداث إذا أرادت التسوية مع الفلسطينيين، وإذا كان لدى أحد شك في ذلك، فليسأل نفسه: هل كان يفضل أن يرى "أعمال الشغب" في المنطقة، وإسقاط النظام في مصر بعد اتفاق السلام معها، أو قبل ذلك، لأنه من الأفضل لـ"إسرائيل" أن تكون في حالة سلام مع الدول العربية قبل حدوث الثورات فيها، وهناك قادة إسرائيليون قالوا في الماضي أنه من غير المقبول توقيع اتفاق سلام مع دول عربية غير ديموقراطية²².

وبات واضحاً أن "إسرائيل" تعيش فترة حرجة بسبب تعرض الأنظمة العربية لـ"هزة أرضية" لم تشهدها المنطقة منذ سقوط الدولة العثمانية، ووسط هذه التطورات الإقليمية، وحراك الثورات العربية، يبدو من الصعب القيام بعملية سياسية؛ فدور الولايات المتحدة يضعف في المنطقة، ويصعب الحصول على دعم الجامعة العربية لهذه العملية، ومع ذلك، على "إسرائيل" القيام بمبادرة سياسية، على الرغم من صعوبتها، لأن من شأنها تقليص المخاطر حولها.

²¹ محددات الموقف الصهيوني إزاء الثورات العربية، المركز الفلسطيني للإعلام، 2011/3/30، انظر:

<https://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=81731>

²² تسيبي ليفني: إسرائيل محاطة بوحشية إسلامية ولا يمكنها "التقوقع في ذاتها" فقط، موقع تايمز أوف إسرائيل، 2014/9/28، انظر: <http://bit.ly/1WzX2kT>

ويمكن في هذه العجالة إيراد جملة من التصريحات الإسرائيلية التي عبرت عن خشيتها من تضرر اتفاقات السلام مع العرب عقب اندلاع الثورات العربية، على النحو التالي²³:

1. دان مريدور وزير شؤون الاستخبارات أكد أن السلام مع مصر كنز استراتيجي.
2. رون بن يشاي الخبير العسكري رأى أن الاتفاقية كنز للدولتين، لأنهما بالحرب لن تحصلان على أي شيء، بل ستزيدان من تفاقم وضعهما كل الوقت، لذلك فإن السلام معها كنز استراتيجي رائع، ويعطي أفضليات لـ "إسرائيل".
3. بنيامين نتنياهو رئيس الحكومة أكد أننا ننعم لأكثر من ثلاثة عقود بجبهتي سلام: واحدة على حدود مصر، والأخرى على حدود الأردن، وقد استفدنا من السلام، ليس فقط من غياب الحرب، بل من عدم الحاجة للدفاع عن هذه الحدود بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.
4. عوديد عيران رئيس مركز أبحاث الأمن القومي، أكد أن السلام مع بعض الدول العربية كان بارداً، لم يكن بين الشعوب، بل بين الأنظمة، لكنه مهم جداً لنجاحه بإخماد فتيل النزاع الإسرائيلي - العربي، وإيجاد تفاهماً استراتيجياً بين النظامين المركزيين في المنطقة، مصر و "إسرائيل".
5. تسفي مازثيل السفير السابق في مصر، رأى أن حفاظ مبارك على السلام مع "إسرائيل" يقربه من الغرب، فقد حاول تحسين الاتصال بالإسرائيليين، لمصلحة إسرائيلية مصرية²⁴.
6. سمدار بيرى Smadar Perry الخبيرة الإسرائيلية في الشؤون العربية، أكدت أن "إسرائيل" كانت راضية عن العمل المشترك بين رجال الاستخبارات من الجانبين: الإسرائيلي والمصري، لأنهم لم يهتموا بنسيج العلاقات، ولا بالتطبيع بين الدولتين، أو بما يفكر به الشارع.
7. جيورا آيلاند رئيس معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي السابق، أشار إلى تخوف إسرائيلي ميداني عسكري من الثورات العربية يتعلق بفرضية مهمة مرتبطة

²³ قناة الجزيرة الفضائية، "تحت المجهر: فوق صفيح ساخن"، 2012/11/2، الجزيرة.نت، انظر:

<http://bit.ly/1tq35uJ>

²⁴ آرييه شافيت ويغال كرمون، إسرائيل والثورة الديمقراطية في العالم العربي، معهد بحوث إعلام الشرق الأوسط (ميمري)، آذار/ مارس 2011، ص 21. (بالعبرية)

بإمكانية حدوث توتر بين مصر و"إسرائيل"، على الرغم من أنه لن يصل إلى صدام مسلح بينهما، بغض النظر عما يجري على الجبهات الأخرى²⁵.

8. شمعون شمير Shimon Shamir السفير الإسرائيلي الأسبق في مصر، توقع الحفاظ على التسوية السلمية إذا وصل براجماتيون إلى سدة الحكم في مصر، مع حدوث تآكل في علاقات الدولتين، أما إذا سعد الإخوان المسلمون، فإن السيناريو المتوقع سيكون سيئاً²⁶!

9. أمنون شاحك Amnon Shahak²⁷ رئيس أركان الجيش الإسرائيلي الأسبق، شبه الثورات العربية بـ"موجات تسونامي" ستصل "إسرائيل"، وعليها أن تحسم خيارها بين: إذا كانت تريد منها أن تقرر مصير المنطقة، أو تبادر لطرح مبادرة سياسية من أجل مستقبلها، متخوفاً من سيناريو قد يحدث متأثراً بالثورات العربية، من خلال مسيرات فلسطينية جماهيرية غير عنيفة تسير نحو حواجز الجيش، ولا تملك "إسرائيل" وسيلة جيدة لمعالجة وضع كهذا²⁸.

القناعات الإسرائيلية التي تولدت عقب ما وصفته بـ"الهزة الأرضية" في الدول العربية جعلت من إمكانية التوصل لتسوية مع الفلسطينيين أكثر صعوبة، وبما أنه من غير الممكن الحفاظ على الوضع القائم؛ فيجب القيام بعمل سياسي مرحلي بين حالتي الجمود والحل الدائم، والحد الأدنى المطلوب القيام به هو نقل مناطق في الضفة للسلطة الفلسطينية، دون إلحاق ضرر استراتيجي بـ"إسرائيل".

²⁵ جيورا آيلاند، تأثير الثورات في الشرق الأوسط في أمن إسرائيل: تطورات الوضع في سوريا ولبنان، موقع المختصر، 2011/8/9، انظر: <http://www.almokhtsar.com/node/11643>

²⁶ عليان الهندي، "إسرائيل" تتابع الثورات السياسية في الشرق الأوسط، موقع شبكة أمين الإعلامية، 2011/3/15، انظر: <http://bit.ly/28aN9OD>

²⁷ أمنون شاحك: درس التاريخ بجامعة تل أبيب، ثم دراسات عسكرية في كليات الجيش الإسرائيلي، أدى خدمته العسكرية في وحدات المظليين، تولى منصب نائب قائد كتيبة في حرب 1973، وقائد فرقة عسكرية في حرب لبنان، عين قائداً للواء المركز ورئيساً لشعبة الاستخبارات، ونائباً لرئيس هيئة الأركان العامة، ورئيساً لقسم العمليات الحربية، ثم ترأس البعثة الإسرائيلية للتفاوض مع الفلسطينيين، ثم عين مطلع 1995 رئيساً لهيئة الأركان العامة للجيش الإسرائيلي. ولما تم تسريحه من الجيش سنة 1998، دخل الحياة السياسية وأصبح وزيراً للسياحة، ثم المواصلات، لكنه انسحب من الكنيست الـ 51 تاركاً الحلبة السياسية.

²⁸ عبد العاطي محمد، مستقبل إسرائيل بعد الثورات العربية، صحيفة الوطن، الدوحة، 2011/4/17، انظر: <http://www.al-watan.com/viewnews.aspx?n=59F7D503-F6E5-4C88-B5B6-8871E179A634&d=20150405&writer=0>

صحيح أن الثورات العربية لم تخرج للهتاف باسم فلسطين، لكن مآلاتها باتت مرتبطة بالصراع الإسرائيلي - الفلسطيني؛ لأنها قوّت وزن الرأي العام العربي، وهذا الصراع يحتل مكانة مهمة في مواقف الشعوب العربية، لذلك ستواجه الأنظمة العربية في المستقبل صعوبات حول موقفها من العملية السياسية، ودعمها لها، أكثر مما واجهته في الماضي.

وإذا كانت هناك اليوم دولة أو سلطة مستعدة للتوصل إلى تسوية مع "إسرائيل"، فمن الأفضل التوقيع معها على هذه التسوية اليوم بدل انتظار مستقبل غير واضح، قد يأتي بأنظمة أكثر شرعية، لكنها ترفض التوصل للتسوية ذاتها.

ثالثاً: عقم المعلومات الأمنية:

الموضوع الأهم الذي تدارسته أجهزة الأمن الإسرائيلية حول تبعات التطورات العربية، تمثل في الاعترافات المتتالية بأنها شكلت مفاجأة تامة لـ "مجتمع المخابرات الإسرائيلية"، مما يتطلب الحاجة لمراجعة عميقة للأحداث التي قد تؤثر على مفهوم الأمن الإسرائيلي، لأن جهاز الموساد وأمان لم يتوقعان شدة هذه التطورات، وقدر أن قوات الأمن في البلدان العربية، ستعرف كيف توقفها، لكن ما حصل العكس، مما سجل لدى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية "قصوراً مجلجلاً" في غير مصلحتها.

وهو ما دفع شاؤول موفاز وزير الدفاع السابق للقول إن "إسرائيل" استيقظت على وضعية جديدة في الشرق الأوسط تجعله أقل استقراراً وأكثر خطورة، هذا الواقع لا يمنح فضاء لسياستها، فقد أضيفت متغيرات كثيرة جداً من عدم اليقين.

بل إن ما حصل في مصر، يذكر الإسرائيليين بسقوط شاه إيران سنة 1979، ويؤكد أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً، ويستوجب نوعاً من التواضع لدى متخذي القرارات لديهم²⁹.

وعبرت أحداث الثورات العربية عن "أضغاث أحلام" لقادة ومسؤولي الاستخبارات الإسرائيلية، ولفتت لضرورة "محاسبة الذات، وإعادة التقييم والإمعان" بعمل

²⁹ رازي بركائي، إذاعة الجيش الإسرائيلي، 2012/11/2.

أجهزتهم، لأن ما قامت به طواقم الأجهزة الاستخبارية وقواها العاملة، واستثمارها للعمل في أقسام المعلومات والتكنولوجيا، لم تمكنها من تقديم تنبؤات دقيقة.

ولذلك كان للثورات العربية عواقب غير متوقعة على الصعيد الأمني الإسرائيلي، لأن نتائجها ليست جيدة ولا نقية مطلقاً، في ظل الاضطرابات التي عمت المنطقة، مما تطلب من أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية التكيف معها، وباتت تعمل وحداتها في الشبكات الاجتماعية، لأنها شكلت من الآن فصاعداً التحدي التالي، إن لم يكن الحالي، للاستخبارات العسكرية³⁰.

وقد دفع ذلك بلجنة الخارجية والأمن في الكنيست للمطالبة بالتحقيق لفحص "إخفاق الاستخبارات"، لأن أحداث الثورات فاجأتها، ووجدتها غير مستعدة، واعتبار ما حصل من أخطاء في التقييمات، أمر مقلق وضاعط.

ومنذ انطلاق الثورات العربية، صدرت مخاوف أمنية واستخبارية من انهيار الأنظمة المالية لها، ومع تسارع وتيرة الأحداث، عملت مراكز تفكيرها الاستراتيجية على دراسة هذه المخاوف، وأثارت نقاشاً داخلياً واسعاً، أدى لانقسامها إلى ثلاثة اتجاهات:

1. الأول؛ يعتقد بوجود مخاطر حقيقية أمنية للثورات العربية على "إسرائيل".
2. الثاني؛ يرى بأنه لا شيء جوهري على الصعيد الأمني سيتغير.
3. الثالث؛ يؤكد وجود هذه المخاطر الأمنية، لكنه يستبعد أن تظهر آثارها على المدى القريب³¹.

وعلى الرغم من هذا الانقسام، إلا أن الاتجاه الإسرائيلي الغالب، رأى أن الثورات العربية ستكون لها تداعيات أمنية خطيرة، بعضها سيكون آنياً، بينما ستظهر آثار بعضها الآخر على المدى البعيد، ومن أهم هذه المخاوف:

1. الخوف من قوة الجيوش العربية، لا سيما المصري، الذي سيتحول أداة بيد الإسلاميين، بعد أن تمّ تحييده طيلة فترة حكم مبارك.

³⁰ بوغاز غانور، الربيع العربي وآثاره الأمنية على إسرائيل، قسم محاربة الإرهاب في معهد هرتسليا متعدد المجالات، 2011/12/21، انظر:

<http://www.mako.co.il/news-columns/Article-220e260c8816431017.htm> (بالعبرية)

³¹ طارق فهمي، الرؤية الإسرائيلية للثورات العربية.

2. فقدان الثقة بإمكانية استمرار إدارة الوضع الأمني على الحدود المصرية، بالأسلوب نفسه الذي ساد خلال العقود الثلاثة الماضية، حيث ظل الاعتماد الأكبر على الجيش المصري لضبط الأمن.

3. التخوف من تقليص الضمانات الأمنية التي قدمها النظام السابق لإحكام الحصار على غزة، ومنع تهريب الأسلحة إليها، ما قد يستدعي إعادة الجيش الإسرائيلي لاحتلال الشريط الحدودي المعروف بمحور فيلادلفيا بين غزة وسيناء.

4. القلق من انتقال عدوى الثورات إلى الأردن والسلطة الفلسطينية، مما سيؤدي لتداعيات خطيرة على الأمن الإسرائيلي³².

وكانت شعبة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية، وقبل أسبوع من اندلاع الثورة المصرية، قدمت للجنة الخارجية والأمن في الكنيست، مذكرة خاصة أكدت عدم وجود خطر يهدد نظام مبارك، فيما جاءت الثورة خلافاً للتوقعات والتقييمات، وهو ما دفع أعضاء اللجنة للمطالبة بإقامة لجنة تحقيق لفحص "إخفاق الاستخبارات".

ومع تدحرج الثورات بصورة متسارعة، انتشرت فرضية مفادها أن الأوضاع الأمنية حول "إسرائيل" باتت "هشة"، وأن الهدوء الذي تشهده حدودها قد يتغير في أي لحظة، وأن 25% من عرب الـ 48 قد يخرجون على مؤسسات الدولة في حال لم تلَب حاجياتهم³³.

لكن التخوف الإسرائيلي الأساسي نبع من الآثار الخطيرة للتطورات على الأمن في الحدود المصرية، مع التشديد على تهريب السلاح في الأنفاق إلى غزة، وتعزيز قوة حماس، وآثارها على الأمن الإقليمي، مع تنامي الميل الإسلامي المعادية لها، وكل ذلك دفع بـ "إسرائيل" للإعراب عن خشيتها أن يُؤثر الوضع في مصر عليها، لأن جيشها انصرف لتفريق المتظاهرين، والسيطرة على الشارع، ما من شأنه أن يدفع المقاومة في غزة لاستغلال ذلك لتهريب السلاح والذخيرة عبر سيناء، وإمكانية وصول "خلايا مسلحة" إلى "إسرائيل" للقيام بعمليات ضدها.

³² فراس أبو هلال، مرجع سابق.

³³ بدا ذلك واضحاً في بعض مداولات تمّ تسريبها للجنة الخارجية والأمن التابعة للكنيست خلال شهري شباط/فبراير وآذار/مارس 2011.

ومع غياب التقديرات الاستخباراتية عن توقع مثل هذه الثورات، وضع أليكس فيشمان الخبير الإسرائيلي الأكثر دراية بالشؤون الأمنية والعسكرية، يده على مكنن الإخفاق الأمني، مستنكراً ما أسماها ظاهرة "محو المعلومات" التي تجمعت طوال السنين عن الميدان العربي، وعدّها "جريمة لا تُغتفر"، مستدلاً على نقدهم الشديد بإعفاء الجهات الإسرائيلية نفسها من جمع المعلومات الاستخباراتية عن الدول العربية المجاورة³⁴.

وأشار "المنتدى الإسرائيلي للمخابرات" أن الثورة المصرية أثبتت خطأ الاعتقاد السائد لدى الاستخبارات العسكرية لسنوات طويلة، لأن الحديث دار داخلها عن تصور تبسيطي جداً يتمثل في أن إدارة مبارك ستنقل السلطة بصورة منظمة لمسؤولين كبار في جهاز الأمن برئاسة عمر سليمان، فينقلها بسلاسة إلى جمال مبارك، وكان أصحاب هذا السيناريو أفيف كوخافي وعموس يدلين، رئيساً لشبكة الاستخبارات العسكرية السابق واللاحق، وقد خالفاً بذلك رئيس الشعبة السياسية الأمنية في وزارة الدفاع عاموس جلعاد Amos Gilad، وقائد المنطقة الجنوبية السابق يوآف جالانت Yoav Galant³⁵.

وتبين لاحقاً، كما أكد العميد احتياط شلومو بروم، أن هذا الإخفاق المعلوماتي والفشل الاستخباري نتأجه كارثية على الصعيد العسكري، تتمثل بـ "بناء قدرات ميدانية، وتحديث النظرية القتالية، وتنظيم تعاون بين الأذرع، وإنشاء قيادة سيطرة، واستكمالات قادة، وحشد معلومات"³⁶.

لكن المشكلة من وجهة نظر الاستخبارات الإسرائيلية تكمن في أنها لا تمتلك مصادر معلوماتية تساعدها في تحديد العاصفة الثورية التي تقترب، أو تقدير فرص نجاحها، ومن يستطيع القيام بذلك جيداً هو من يستشعر نبض المجتمع السائر نحو الثورة،

³⁴ ماجد الشيخ، ثورات الشعوب وتحولاتها الكبرى، المستقبل، 2011/4/9، انظر:

<http://www.almustaqbal.com/v4/Article.aspx?Type=np&Articleid=461320>

³⁵ يوآف جالانت: جنرال في الجيش الإسرائيلي، انضم لكوماندو سلاح البحرية، ولما سرح من الجيش توجه لولاية ألاسكا الأمريكية ليعمل في الأخشاب، لكنه عاد لصفوف الجيش الإسرائيلي، وعين قائداً للأسطول رقم 13، ثم قيادة منطقة جنين، فقائداً لفرقة غزة، ثم رئيساً لهيئة قيادة القوات البرية في الجيش، ثم سكرتيراً عسكرياً لشارون، وفي 2005 قائداً للواء الجنوب بعد الانسحاب من غزة، قاد الحرب على غزة سنة 2008 كونه قائد المنطقة الجنوبية، انتخب للكنيست سنة 2015.

³⁶ إسرائيل وبيئتها الاستراتيجية، مجلة الوحدة الإسلامية، تشرين الثاني/ نوفمبر 2011، انظر:

www.wahdaislamia.org/issues/119/tajamat1.htm

ويمكنه تحديد الفوارق الدقيقة التي تميز بين موجة احتجاج من شأنها أن تتحول إلى "تسونامي"، واحتجاج شعبي ينتهي بصوت خافت.

وهو ما دفع أوربي بار يوسف Uri Bar-Joseph، المحاضر في قسم العلاقات الدولية بجامعة حيفا، لأن يسجل على ضباط الاستخبارات طبيعتهم البيروقراطية، وميلهم للتوصل إلى توافقات في مجال التقديرات الأمنية، خصوصاً حين يحدث خلاف جوهري في الرأي، فإنك تجد صعوبة بصورة واضحة في تحديد التطورات الثورية العربية³⁷.

ورأى إفرام إنبار Efraim Inbar أستاذ العلوم السياسية بجامعة بار إيلان Bar-Ilan University، أن المشهد الإقليمي الجديد بعد الثورات العربية يحمل معه مخاطر لا تعد ولا تحصى، ومنها:

1. مزيد من عدم اليقين حول سلوك قادة الدول المجاورة تجاه "إسرائيل".
2. زيادة الأنشطة المسلحة المعادية.
3. انخفاض قوة الردع الإسرائيلية، والعزلة الإقليمية المتنامية.
4. التهديدات المتصاعدة في شرق البحر المتوسط³⁸.

وهو ما دعا لتقديم توصيات لصناع القرار في السياسة الإسرائيلية للتعامل مع هذه التغييرات، وتشمل:

1. رفع نفقات الدفاع.
2. زيادة حجم الجيش النظامي.
3. تطوير قيمة الاستثمار في مجال الدفاع الصاروخي، وقوة سلاح البحرية.
4. البحث عن حلفاء إقليميين جدد، والحفاظ على علاقة تل أبيب مع واشنطن، والإصرار على حدود يمكن الدفاع عنها في أي مفاوضات سلام مع سورية أو الفلسطينيين.

³⁷ من يتوقع ثورات؟، يديعوت أحرونوت، 2011/4/25، انظر:

<http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4060257,00.html>

³⁸ الثورات العربية 2011 والأمن القومي الإسرائيلي، موقع مركز الناطور للدراسات والأبحاث، 2012/3/7،

انظر: <http://natourcenter.info/portal/?p=849>

وما قد يفسر هذا الاختلال الأمني في خريطة "الجغرافيا السياسية" للمنطقة، أن "إسرائيل" رأت في سقوط مبارك، وفقدانها لحلفائها العرب، نقطة تحول جوهرية أحدثت خللاً في التوازن، مما سيفقدها التفوق والهيمنة.

وفي حين أن تأثيرات الثورات العربية الأخرى تُدخل المنطقة إلى مرحلة جديدة، فإنه يتطلب من "إسرائيل" الاستعداد لها، بعد أن فشلت مخابراتياً في قراءة وضع الدول العربية الأخرى، وتقييمه جيداً، لأن الدراسة المعمقة للمجتمعات العربية، كما يؤكد يحزقيل درور، والتغييرات التي تجري في داخلها، تهز فرضيات كثيرة سادت لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية حول إمكانية حدوث ثورات فيها³⁹.

ولعل أهم سبب في إخفاق أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية في التنبؤ بما حصل في العالم العربي من حراك، وتوقع مآلاته النهائية، أن هذه الأجهزة طوال مدة عملها ضد هذه الأنظمة حرصت على اختراق وتجنيد مصادر معلومات في الحلقات الضيقة لصناع القرار في هذه الدول، وتجنيد بعض النخب في هذه المجتمعات، ولما كان منشأ هذا الحراك وأدوات تحريكه عناصر شعبية، وليست نخباً حاكمة، فقد وقع المحذور في عدم القدرة على توقع الحدوث وتقدير المآلات.

لقد ساد الاضطراب الأوساط الأمنية الإسرائيلية عندما اندلعت الثورات العربية، وأثارت جدلاً واسعاً حول فشل توقعها، لا سيما وأن أهaron زئيفي فركش الرئيس السابق لشعبة الأبحاث في شعبة الاستخبارات العسكرية (أمان)، أكد صعوبة معرفة تطور الأمور، وإلى أين تتجه الدول العربية، لكن يمكن القول إن أنظمة حكمها لديها من السلطة والقوة ما يخولها مواجهة الاضطرابات الداخلية، فالمسألة تتعلق بتقليص حجم المواجهات القائمة بما لديها من أجهزة أمنية واستخبارية⁴⁰.

ويمكن الحديث عن جملة أسباب عدم توقع المخابرات الإسرائيلية للثورات العربية، كما أوضحها إيتاي بارون Itai Baron، رئيس شعبة الأبحاث، على النحو التالي:

³⁹ في مواجهة الدوامة، هآرتس، 2011/2/4، انظر:

(بالعبرية) <http://www.haaretz.co.il/hasite/objects/pages/PrintArticle.jhtml?itemNo=1213335>

⁴⁰ نقاشات إسرائيلية حول تداعيات صعود الإسلاميين بالمنطقة العربية، السياسة الدولية، 2011/9/16، انظر: <http://www.siyassa.org.eg/UI/Front/InnerPrint.aspx?NewsContentID=2164>

1. اعتقاد خبراء الشؤون العربية في المؤسسات الأمنية الإسرائيلية أن الأنظمة العربية قوية، والمعارضة ضعيفة.
2. تخفيض الأجهزة الأمنية الإسرائيلية من رصدها لما يجري في مصر منذ توقيع معاهدة كامب ديفيد للسلام، وتركيز جهودها على الساحات الفلسطينية واللبنانية والإيرانية.
3. تبنت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية وجهة نظر الأجهزة الأمنية المصرية التي أكدت استقرار النظام⁴¹.

جاءت المفاجأة الأمنية للمنظومة الإسرائيلية بالرغم من الضوء الأحمر الذي أشعلته الثورة التونسية، وإرهاصات المظاهرات المنادية بالديموقراطية، وازدياد حركة الاحتجاج ضدّ التوريث، وتكاثر الإضرابات العمالية، ولم تقتصر المفاجأة على اندلاع الثورات فقط، بل جاءت من الشكل الذي جرى به إسقاط الرؤساء العرب، وردود فعل أمريكا وأوروبا عند تخليهما عنهم⁴².

وهذا يعني أن فشل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية لم يتوقف عند عدم توقع حدوث الثورات فقط، بل في قراءة الواقع، وتفسيره عندما بدأت الثورات، ولذلك يمكن فهم "الدور الخفي" الذي قامت به الأجهزة الأمنية الإسرائيلية، بهدف إجهاض الثورات، واغتيال براعم التحول الشعبي وال جماهيري، نظراً لرغبتها بالإسهام في رسم واقع عربي جديد يتماشى مع مصالحها، يستغل مشهد الثورات، ويجدد التبعية العربية لها، عبر انعدام السيادة للأنظمة الجديدة، بما يضمن عدم استفادة الحركات الوطنية من مكتسباتها.

وطالما أن "إسرائيل" مسكونة بالمخاوف الأمنية المتواصلة، فإنها ستبقى تعادي كل التحركات الثورية العربية، من خلال استمرارها بالتلويح بما تسميه "فزاعة الإسلاميين"، لأن توالي أحداث الشرق الأوسط، وتداعي الأنظمة العربية مثل أحجار "الدومينو"، جعل المنظومة الأمنية الإسرائيلية تستيقظ على واقع جديد يتشكل في

⁴¹ التحديات الاستخبارية للربيع العربي على إسرائيل، تشرين الثاني / نوفمبر 2011، انظر:

<http://www.intelligence.org.il/CETHandler.ashx?n=CetEntities.FileViewer&i=7b6c26a9-ffd0-426d-b508-19d6c9d151f1&id=32734> (بالعبرية)

⁴² الفصل الأول من كتاب "مبارك كنزهم الاستراتيجي": مبارك ويوميات الثورة، موقع مصر العربية، <http://bit.ly/28aNqRC>، انظر: 2014/12/3

المنطقة، فاستمت ردود مسؤوليها بالتخبط حيناً، وإظهار اتزان مفتعل حيناً آخر، وتبادل الاتهامات بين المستويات الأمنية والسياسية حيناً ثالثاً⁴³.

وبعد أربع سنوات من الثورات العربية، خرجت الأجهزة الأمنية الإسرائيلية بقناعات متزايدة ترى أن تأثير هذه الثورات ما لم يصل القوتين الرائدتين في الشرق الأوسط: السعودية وإيران، فإنه سيظل مهماً، لكنه محدوداً، لأن مقدارهما مختلف تماماً عن باقي دول المنطقة، فالأماكن المقدسة للمسلمين، وآبار النفط شرقي المملكة تطوي أزمة محتملة تزعزع العالم كله.

ووصل الأمر إلى اتهام الحكومة الإسرائيلية بأنها تنتهج ما وصف بـ"سياسة النعامة" تجاه الثورات العربية، فتخفي رأسها في الرمال، ولا تبادر بإطلاق مسيرة سياسية، رغبة بالحفاظ على "الذخائر الاستراتيجية" كالسلام مع مصر والأردن، والعمل على توسيعها، وإخراج مزيد من الدول المجاورة من دائرة النزاع، في تلميح واضح لسورية.

وتجلى لاحقاً أن "إسرائيل" بمختلف أذرعها الأمنية ومؤسساتها والاستخبارية، وبالتنسيق مع دول عربية، سعت جاهدة لإفشال الثورات العربية، والتحريض عليها، والاستخفاف بالشعوب، لأنها على قناعة أن الحراك الشعبي العربي غير المسبوق سيكون له تداعيات وتأثيرات على مستقبلها، وقد فقدت أنظمة حليفة، وبالتالي ابتعدت، وقد تغيب كلياً، عن العمق العربي.

رابعاً: بين الاستقرار الأمني والديموقراطية:

ما زالت الأنظار في "إسرائيل" متجهة نحو ما يجري في الشرق الأوسط من ثورات شعبية وصفها رئيس الحكومة نتنياهو بأنها زلزال يهز أنظمة الحكم القائمة، ويهدد بنشوء واقع مغاير، وشرق أوسط جديد، وبات واضحاً أنها تخشى من الناحية الأمنية والاستخبارية ما يحصل من هذه الثورات، وترى فيها تهديداً وجودياً لكيانها، ولذلك تكن العداء لها.

⁴³ قراءات في الصحافة الإسرائيلية... إسرائيل أمام تبدلات استراتيجية جذرية، صحيفة الثورة، مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2011/3/7، انظر:

http://thawra.sy/_archive.asp?FileName=44855007320110306220458

ويمكن رصد عاملين جوهريين يتحكمان في التقييم الإسرائيلي للثورات العربية: النظرية الأمنية، والثقافة الاستعمارية، اللذان يدفعان بها وبالغرب لمعاداة الحراك الشعبي، وسيرورة الحراك العربي⁴⁴.

فـ "إسرائيل" القائمة على أسس استعمارية احتلالية، لا تؤمن بمنظومة الديمقراطية وحكم الشعوب، وتسعى لتجنيد الإدارة الأمريكية للضغط على القيادات العسكرية في العالم العربي، لضمان استمرار العلاقات والاتفاقيات والتعاون الأمني، بما يؤدي في نهاية الأمر لإفشال الثورات العربية، والتحريض عليها، والاستخفاف بالشعوب.

حاجاي إلعاد Hagai El-Ad رئيس الرابطة الإسرائيلية لحقوق الفرد، رأى أن الأمر الأهم لـ "إسرائيل" يتمثل بالحفاظ على الاستقرار في المنطقة، وفي أوضاع تتسم بالتغيرات السريعة، ولا تكون هناك أسس قوية للديموقراطية العصرية، فإن ما يحدث، كما حدث في إيران، هو قيام سلطة إسلامية متطرفة، ومن شأن حالة الفوضى المستشرية إفساح المجال لعناصر إسلامية متطرفة منظمة أن تقوم بالسيطرة على السلطة في بلدان الثورات العربية⁴⁵.

ولذلك أسهب الإسرائيليون في الحديث عن العوائد الإيجابية لأنظمة الاستبداد العربية على الأمن القومي الإسرائيلي، ومن بينهم يورام ميتال، الذي أشار إلى أن معظم الأنظمة الشمولية في العالم العربي تستمد شرعيتها من اعتراف الأطراف الخارجية وتعاونها، فيما تتجاهل إرادة الشارع العربي، مما يسهل مهمة ممارسة الضغوط عليها، وأحد أهم الأسباب التي وقفت خلف رغبة دول عربية للتوصل لتسويات سياسية مع "إسرائيل"، أو التطبيع معها، اعتبارها أن مثل هذا السلوك يلقي استحساناً لدى الولايات المتحدة⁴⁶.

ومما يفسر حماس النخب الإسرائيلية لبقاء أنظمة الاستبداد في العالم العربي، أن أوضاع الجيوش العربية البائسة من حيث التسليح والإمكانات العسكرية، وعزوف

⁴⁴ نمرود هيروفيتش، الربيع الإسلامي ثورة على العهد الماضي، موقع مركز تجديد الديمقراطية في إسرائيل، 2013/4/7، انظر: <http://bit.ly/1ZqQ0NI> (بالعبرية)

⁴⁵ ليسوا ناضجين بعد للديمقراطية، موقع nrg، 2011/1/30، انظر: <http://www.nrg.co.il/online/1/ART2/206/220.html> (بالعبرية)

⁴⁶ تقرير حول دراسة: إسرائيل وفزاعة الإسلاميين في أعقاب الثورات العربية، مركز نماء للبحوث والدراسات، 2012/4/13، انظر: <http://nama-center.com/m/ActivitieDatials.aspx?id=85>

الدول العربية عن الرغبة في مراكمة أسباب القوة يرجع بشكل أساسي لطابع أجندة الأنظمة الحاكمة التي أخرج معظمها احتمال المواجهة مع "إسرائيل" من خياراته.

وهكذا تعتقد المنظومة الأمنية الإسرائيلية وفقاً ليارون ديكل Yaron Dekel مدير إذاعة الجيش الإسرائيلي أن "الاستقرار في الشرق الأوسط أهم من الديمقراطية"، لأن ما شهدته المنطقة من ثورات كبيرة، زادت من "سحب الضباب المتلبدة في سمائها"، مما تطلب من الجيش أن يجعل واجبه الأساسي الحفاظ على "إسرائيل" قوية وجاهزة، وهو ما قصده بعض الجنرالات في الإشارة إلى أن "جبهات المواجهة" اتسعت في السنوات الأخيرة، ولذلك تطلبت التغييرات الحاصلة أن يكون الجيش على أهبة الاستعداد للحرب المقبلة التي ستكون شاملة في بضع جبهات⁴⁷.

وعلى الرغم من أن ملفات الصراع العربي - الإسرائيلي لم تصدر قائمة أولويات الثورات العربية في مرحلتها الأولى، إلا أن كل التحليلات والقراءات تنطلق، على نحو أو آخر، من أن "إسرائيل" ستكون في نهاية المطاف هي الخاسر الأكبر منها، لأن ثمة اعتقاد إسرائيلي بأن هذه الثورات ستقلب معادلة القوة الإسرائيلية، لأنها لم تشهد منذ قيامها اضطراباً وعدم وضوح لما يحيط بها مثلما هي اليوم، وهي لا تصحو من صدمة حتى تتلقاها أخرى، بفعل الانهيار المتسارع لأنظمة عرفت خباياها⁴⁸.

لقد جعلت الثورات الشعبية العربية "إسرائيل" أكثر قلقاً من احتمالات ديمقراطية العالم العربي، وتبين أن أنسب الأوضاع لها في استمرار النظم الديكتاتورية، لأن اتساع قاعدة الديمقراطية العربية سيفقدها الزعم بأنها الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط، وهنا يكمن الخوف الإسرائيلي من الثورات العربية بشكل رئيسي، في ضوء إدراكها بزيادة وزن الشارع في القرار السياسي الرسمي العربي، وهو ما سيجعل الحكام أكثر استجابة لتطلعات شعوبهم.

المؤرخ الإسرائيلي توم سيجيف Tom Segev كان أكثر وضوحاً حين قال إن سلام "إسرائيل" كان مع "أشخاص حكام" وليس مع الشعوب، ولما أدركت أن موقف الرأي العام العربي أبعد كثيراً عن التطابق مع رأي الأنظمة، فقد بدأت تتحسس الآثار المحتملة

⁴⁷ صفح (إسرائيل): قلق من الثورات العربية، فلسطين أون لاين، 2011/2/27، انظر: <http://bit.ly/1YaCnU9>

⁴⁸ رندة حيدر (محررة)، "مختارات من الصحف العبرية"، نشرة يومية إلكترونية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، العدد 1392، 2012/4/12، انظر:

<http://www.palestine-studies.org/sites/default/files/12-4-2012.pdf>

على تسارع العلاقات العربية - الإسرائيلية، بل احتمالات تراجعها، وبالتالي فإن وتيرة التطبيع ستتراجع، وأي علاقة معها ستكون محفوفة بالمخاطر في المدى الزمني المنظور.⁴⁹

هذه المخاوف من تراجع حالة الاستقرار في المنطقة العربية بسبب الثورات، تؤكد المصلحة المشتركة بين "إسرائيل" ومعظم الأنظمة العربية الشمولية في محاربة الحركات الإسلامية التي تهدد "إسرائيل"، مما أوجد في كثير من الأحيان تنسيقاً أمنياً مباشراً وغير مباشر بين الأجهزة الأمنية والاستخبارية للجانبين، ما يعني أن سيادة الديمقراطية في العالم العربي سيقضي على تحالف الأمر الواقع القائم حالياً، لأن الأنظمة الديمقراطية الجديدة ستراعي توجهات الرأي العام في العالم العربي ضد "إسرائيل".

ولم يتردد عاموس مالكا Amos Malka رئيس الاستخبارات العسكرية الأسبق بالدعوة لإجراء تغييرات على العقيدة الأمنية الإسرائيلية إن حلت أنظمة ديمقراطية محل الأنظمة الشمولية في الدول المحيطة بـ "إسرائيل"، فوجودها يسهل مهمة "إسرائيل" في مراكمة الردع أمامها، لأنها تأخذ بعين الاعتبار الحفاظ على بقائها بشكل رئيسي، وبالتالي يقلص رغبتها في تحدي "إسرائيل"، ويعمل على تآكل استعدادها للاستثمار في مواجهتها.⁵⁰

ولعل ما يبرز أهمية بقاء الأنظمة الشمولية في العالم العربي للأمن القومي الإسرائيلي أنها تشارك "إسرائيل" من ناحية عملية في تقييماتها لطابع التهديدات التي تواجه المنطقة، وتتبنى موقفاً "أكثر تقدماً" من قوى اليسار الإسرائيلي، لأنها ترى مثلاً أن البرنامج النووي الإيراني هو الخطر الذي يهدد المنطقة، وليس بقاء القضية الفلسطينية بدون حل.

ولذلك كان لافتاً أن المؤسسة الإسرائيلية أصيبت بهلع شديد بسبب المتغيرات المتسارعة على الأرض في العالم العربي مع استمرار الثورات، حيث برز عامل جديد في

⁴⁹ فواز ذنون، الرؤية "الإسرائيلية" للثورات العربية، صحيفة الموقف، الإعلام المركزي - مفوضية الشؤون الفكرية والسياسية والإعلامية، تيار المقاومة والتحرير، قوات العاصفة، حركة التحرير الوطني الفلسطيني - فتح، 2011/12/12، انظر: <http://almawqef.com/spip.php?article4548>

⁵⁰ عوفر شليح، ليست الديمقراطية للعرب، الحياة الجديدة، 2011/2/1، انظر: <http://www.alhayat-j.com/newsite/details.php?opt=8&id=129323&cid=2126>

الواقع العربي يتمثل في الشعب الذي يتطلع لمستقبل واعد ينسجم مع حجم تضحياته خلال فترة العقود الماضية، وتبعاً لذلك فإن انتقال القرار من الديكتاتوريات إلى الشعوب يشكل تهديداً استراتيجياً لـ"إسرائيل".

كما أن التحول العربي نحو الديمقراطية يمثل ضربة قاضية لواحدة من منطلقات الدعاية الصهيونية التي اعتمدت عليها في استحثاث التعاطف الدولي مع "إسرائيل"، مما دفع الوزير بيني بينج Benny Begin⁵¹، لعدم إخفاء مخاوفه من خسارة "إسرائيل" للفراة التي منحها التجربة الديمقراطية، لأن أحد مظاهر تفهم العالم لقيام "إسرائيل" بالخروج للحروب ضدّ العرب يعود بشكلٍ أساسي لنجاحها بتثبيت مقولة إنها "ديموقراطية مسؤولة"⁵².

وهكذا ترى "إسرائيل" أن استمرار أنظمة الحكم العربية الحالية، واستقرارها هو الأفضل لها، أما السيناريو الأسوأ فهو قيام نظم ديموقراطية، لأنه يقلص الفجوة، وربما يردمها، بين الشعب وقيادته المنتخبة، بخصوص الموقف من "إسرائيل"، وبما أنها تدرك جيداً أن الشعوب العربية معادية لها، ولسياستها العدوانية ضدّ الشعب الفلسطيني، فهي ترى أن النظم الديمقراطية ستكون معبرة عن موقف شعوبها منها، وبالتالي سيؤدي لتغيير الاستراتيجية والسياسات العربية تجاهها، من سياسة الخنوع والخضوع إلى مواجهتها ومقاومتها.

كما كشفت الثورات العربية عن موقفين متأصلين في "إسرائيل"، وفي ثقافتها السياسية وأعرافها الأمنية تجاه الفلسطينيين والعرب، وهما: العداء لوحدهم، ونشر الديمقراطية في دولهم، لاعتقادها بأن الديمقراطية والوحدة تعززان قوتهم، وتفتحان المجال واسعاً في المدى المتوسط والبعيد لمقاومتها، وربما هزيمتها.

⁵¹ بيني بينج: درس في الجامعة العبرية ونال الماجستير في الجيولوجيا، ونال الدكتوراه من جامعة كولورادو، كان مستشاراً خفياً لوالده مناحيم بينج في كثير من القضايا، عمل لفترة طويلة في المعهد الجيولوجي التابع للحكومة، دخل الكنيسة ثلاث مرات، ولقب أمير الليكود، عين وزيراً للعلوم وعضو المجلس الوزاري المصغر، واصطدم مع نتنياهو عدة مرات، واتهمه بتقديم تنازلات كبيرة للفلسطينيين في المفاوضات.

⁵² صالح النعماني، لماذا أصابت ثورة الياسمين في تونس إسرائيل بالذعر؟، وكالة فلسطين اليوم الإخبارية، 2011/3/19، انظر: <http://bit.ly/1UCvXKp>

وقد زعم المستشرق الإسرائيلي رؤوفين بيركو أن الاستمرار في دعم الدكتاتوريين العرب يحقق عوائد إيجابية للغرب، لأن تاريخ الشرق أثبت أن الحكام الذي يعتمدون القمع الوحشي ضد شعوبهم يضمنون الاستقرار الذي يفضي، في النهاية، لتأمين مصالح الغرب و"إسرائيل"⁵³.

وأشارت مفاضلة "إسرائيل" بين الاستقرار الأمني وتحقيق الديمقراطية للعرب، إلى أن دفع القيم الديمقراطية قدماً سيعود بالنفع على السلام، لكن في حال إتاحة المجال أمام قوى معادية لاستغلال الديمقراطية للسيطرة على السلطة، فإن النتيجة ستكون إلحاق أضرار بالسلام والديموقراطية معاً في الوقت ذاته، ولذلك وقف خلف الرؤية الإسرائيلية التي تنادي بأنظمة حكم عربية ديكتاتورية، دافعان أساسيان:

1. الخشية أن توصل الديمقراطية الإسلام السياسي إلى سدة الحكم.
2. الاستعلاء الإسرائيلي الذي بات حاجة وضرورة نفسية بأن يكون العرب متخلفين وظالمين، غير جديرين بنيل حقوق إنسانية أساسية⁵⁴.

هذا الموقف الإسرائيلي الرافض "للميموقراطية العربية" يفسر ابتهاج الإسرائيليين وفرحهم بانتخاب السيسي رئيساً لمصر عقب الانقلاب على الرئيس مرسي، لأنهم ينظرون لمصر عبر العدسة الأمنية، ويرون في "الجنرال" أبرز رموز المؤسسة الأمنية المصرية، مستذكّرين إسقاطه لحكم الإخوان المسلمين بانقلاب عسكري، وكل ذلك يؤكد النظرة التقليدية لديهم بأنه من الأفضل للعرب وللعالم أن تحكمهم أنظمة ديكتاتورية تستند للقوة العسكرية، "فالحرية ليست جيدة لهم؛ لأن طابعهم الظلامي يتفجر إلى الخارج في موجات من العنف ضدّ محيطهم في حال الحرية، وكل من يفكر خلاف ذلك...، لا يفهم الحياة، أو لا يعيش هنا مثلنا"⁵⁵.

وهو ما دفع إيهود باراك وزير الدفاع الإسرائيلي السابق، للإعلان صراحة أن القيادات الاستبدادية العربية تظهر مسؤولية كبيرة في الحفاظ على استقرار المنطقة؛ ومن ثم تكون مريحة لـ"إسرائيل" أكثر من شعوبها، بحيث سيؤدي تضاعف أهمية

⁵³ وجهة نظر الصحافة الإسرائيلية (2-3)، موقع صحفي جو، 2011/3/29، انظر:

<http://www.sahafi.jo/arc/art1.php?id=666ecf9dc8e8c978f1274a620c42af76b0bff518>

⁵⁴ محمود محارب، "إسرائيل والثورة المصرية".

⁵⁵ المرجع نفسه.

الجماهير والرأي العام العربي إثر الثورات في المنطقة، إلى تكاثر الصعوبات أمام استعداد قادة الدول العربية للتوصل لتسوية مع "إسرائيل"⁵⁶.

وتبين فور اندلاع الثورات العربية أنه بفضل استقرار المنطقة واصلت "إسرائيل" جملة من الإجراءات والسياسات المحلية والإقليمية على النحو التالي:

1. حرمان الفلسطينيين من حقوقهم السياسية، وهم يعيشون تحت حكمها وسيطرتها.
2. إبقاء عشرات ملايين الفقراء في مصر، ومواصلة عائلة الحكم التمتع بثروة قوامها المليارات.
3. تضخم أجهزة الأمن التي يعنيها الحفاظ على نظام الحكم، على حساب الموازنات التي يفترض أن تخصص للصحة والتربية والتطوير والرفاه الاجتماعي⁵⁷.
4. سلطة وراثية تنتقل من الأب إلى الابن، وانتخابات مزورة يتنافس فيها ممثلو الحزب الحاكم.

وأشار المتخصص الإسرائيلي في الشؤون العربية تسفي برئيل Zvi Bar'el، أن تشديد الطبقة الإسرائيلية الحاكمة والنخب المرتبطة بها على أن الثورات العربية ستنتهي بسيطرة الإسلاميين يهدف لبلورة انطباع مفاده أن العرب لا يستحقون الديمقراطية، لأن أي نظام حكم سيسمح لكل القوى الاجتماعية بالتعبير عن نفسها⁵⁸.

لكن التقارير الأمنية الإسرائيلية الواردة من ميادين التحرير العربية، أثبتت ازدياد قوة "الشارع"، مما سيؤدي لوصول فئات جديدة إلى سدة الحكم تناصب "إسرائيل" العداء؛ لذا ينبغي عليها أن تستعد للوضع الجديد، وتتوجه لجيل الشباب العربي عبر الشبكات الاجتماعية، وتروج أنها ترغب بالسلام، وتطوير المنطقة اقتصادياً.

إيتمار رابينوفيتش عضو الوفد الإسرائيلي في المفاوضات مع سورية، رأى أن عدم الوضوح في المنطقة الناجم عن "الهزة الأرضية"، يهدد الأنظمة العربية و"إسرائيل"؛

⁵⁶ العملية السياسية في محيط استراتيجي متغير، معهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، 2011/3/13، انظر: www.inss.org.il/heb/events.php?cat=337&incat=&read=5009 (بالعبرية)

⁵⁷ موشيه ترديمان، الربيع العربي والاستقرار الأمني للأنظمة العربية، موقع مجلة الشرق الأوسط، 2015/2/20، انظر: <http://bit.ly/1UsZpQ1> (بالعبرية)

⁵⁸ تسفي برئيل، في العالم العربي يرفعون عيونهم، موقع صحفي جو، 2011/1/17، انظر: <http://www.sahafi.jo/files/52d63c6c4b6084c46af8ed7e7f1c56fda1cdd468.html>

لذلك سيسعيان للحفاظ على الاستقرار، بعد أن فقدت الولايات المتحدة شيئاً من مكانتها، لأن أوباما تخلى بسرعة عن مبارك، حليف أمريكا القديم⁵⁹.

وقادت التطورات الثورية في الوطن العربي النخب الأمنية الإسرائيلية إلى الاتجاه نحو ضرورة إحداث تغييرات جوهرية في بنيتها التنظيمية، لأن هذه التطورات، وإسقاطاتها المحتملة، فرضت على "إسرائيل" إعادة صياغة عقيدتها الأمنية من جديد، والمبادرة لإحداث تغييرات جوهرية في بنية الجيش، وطابع استعداداته.

كما شعرت "إسرائيل" منذ اللحظة الأولى للثورات العربية أنها بصد "هزة أرضية" ضربت منطقة الشرق الأوسط لم يشهد لها مثيل منذ عشرات السنين، مما جعل صنّاع القرار الأمني فيها يحثون الخطى لفهم المعاني الناشئة عن تطورات المنطقة، ومنح التغييرات الحاصلة في الدول المجاورة حيزاً أكبر من البحث والتحليل.

وأكد دان مريدور وزير شؤون الاستخبارات الإسرائيلية أنه حيث توجد ثورات يوجد تغيير كبير، فالاستقرار والتغيير قوتان متعارضتان، لذلك لن يكون استقرار تام في المنطقة، وأمل أن يبقى الوضع تحت السيطرة، وألا تحدث فوضى، وتكون في الشعوب العربية القوة الكافية كي تقود لعدم التنازل، والعودة لنظام ديكتاتوري آخر⁶⁰.

الأهم في هذا المحور بالذات أن هناك مصلحة إسرائيلية واضحة في بقاء أنظمة الاستبداد في الدول التي تعدّ نفسها ضمن "محور الممانعة"، صحيح أن هذه الدول لا تتعاون أمنياً مع "إسرائيل"، لكنها تحرص في المقابل على استثمار مواردها في تعزيز وتكريس حكمها بشكل أكبر بكثير من استثمارها في مجال تعزيز قدرتها على مواجهة "إسرائيل"، مما يجعلها تميل لامتناس الإهانات التي توجه لها.

ولذلك قال وزير إسرائيلي: "نعرف الأسد، وعرفنا والده، ونود أن تكون جارتنا سورية ديموقراطية، لكن هل أعتقد أن هذا أمر ممكن الحدوث؟ الإجابة لا، نعلم أن هناك ديكتاتوراً، وبالرغم من ذلك فإن الأوضاع هادئة".

⁵⁹ ماجد كيالي، سوريا في النقاش الإسرائيلي، الجزيرة.نت، 2013/6/12، انظر:

<http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/7b6ca763-a2cf-4df6-9bb8-ddc54ba2e394>

⁶⁰ ندوة بالمعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن تناقش: التحول الجيوسياسي في الشرق الأوسط.. وأمن إسرائيل، صحيفة أخبار الخليج، المنامة، 2012/4/14، انظر:

<http://www.akhbar-alkhaleej.com/12440/article/19315.html>

خامساً: صعود الإسلاميين:

رأى الإسرائيليون أن الظاهرة الأبرز في المنطقة مع اندلاع الثورات العربية هي صعود "الإسلام السياسي" بشتى ألوانه، وراقبوا كيف تعاملت كل دولة عربية معه بشكل مختلف:

1. في تونس الثورة اكتملت، بقليل من العنف، وانتخابات فاز فيها حزب إسلامي معتدل نسبياً.
2. وأفرزت الجولة الأولى من الانتخابات المصرية فوزاً ساحقاً للمعسكر الإسلامي.
3. وتردت ليبيا إلى حرب قبلية تهدد وجود الدولة.

ظاهرة صعود الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم بدلاً من النظام العلماني، عززت مخاوف الإسرائيليين، ودعتهم للتحذير من تبعات وآثار نفوذهم، لأن حماس جزء منهم، ويريدون القضاء على "إسرائيل"، والمنطقة برمتها تتوجه نحو صفحة جديدة، يحتم على "إسرائيل" المحافظة على قوتها، والسعي لإيجاد الطرق الملائمة لذلك.

رون بن يشاي الخبير العسكري الإسرائيلي، وثيق الصلة بقيادة الجيش، أكد أن الإسلاميين سيقرون صورة مستقبل المنطقة بعد أن كانوا مقموعين، وعلى "إسرائيل" أن تنتهياً لهذا الوضع، لأن المدى القريب يظهر أن الخطر المائل أمامها هي الحركات الإسلامية كونها الأكثر تنظيماً وقوة في العالم العربي⁶¹.

فيما أكد شاؤول موفاز وزير الدفاع الإسرائيلي السابق، أن الإخوان المسلمين أعداء النظام في مصر وأعداء "إسرائيل"، وسيطرتهم على مصر يعني واقعاً مأساوياً كلياً للعلاقة الثنائية بين مصر و"إسرائيل"، وأن على "إسرائيل" أن تبذل جهوداً حتى لا تحكم مصر في المستقبل من قبل سلطة متطرفة، وهو ما حذر منه نتنياهو رئيس الحكومة بالقول إن أغلب الاحتمالات ترجح أن تغمر موجة الإسلاميين الدول العربية، وهي معادية للغرب و"إسرائيل"⁶².

⁶¹ محلل عسكري: الثورات في العالم العربي ستبرز إسرائيل كعبء وليس كذخر استراتيجي للغرب، صحيفة القدس العربي، لندن، 2014/3/25، انظر: <http://www.alquds.co.uk/?p=147217>

⁶² بلال ضاهر، عام على "الربيع العربي": إسرائيل تتحسب من صعود الإسلاميين وتأمل بسقوط النظام الإيراني، مركز مدار، 2012/4/5، انظر: <http://bit.ly/1O9YuIc>

التعليقات الإسرائيلية عبرت عن قلقها من تصاعد نفوذ الإسلاميين في الدول العربية، دون تحديد تنبؤ بعينه لمآلات سيطرتهم هذه، لكن مفردات "فظ، وعريضة، ومثير للجدل، ومؤيد للإرهاب" تزايد استخدامها من قبل صناعات القرار، بزعم أنهم يعرفون أجندة الإخوان المسلمين، وهي ليست إيجابية لـ "إسرائيل"، وعليها مواجهة المخاطر التي ستظهر في الفترة القريبة.

وجاءت تحذيرات عاموس جلعاد رئيس الدائرة الأمنية والسياسية في وزارة الدفاع، الأكثر تعبيراً عن القلق الإسرائيلي بقوله إن الثورة المصرية أثمرت ديكتاتورية إسلامية في البلاد، فالإخوان المسلمون في البرلمان يشكلون 47%، والسلفيون 25%، وبات البرلمان بلون أخضر، والرئيس المصري محمد مرسي، لا ينطق كلمة "إسرائيل"، ويتجنب أي إشارة مباشرة إليها في كلماته وتصريحاته العلنية⁶³.

وقدر الإسرائيليون أن الإخوان المسلمين في ضوء الانقسامات الحاصلة في الشارع السياسي العربي بعد اندلاع الثورات قد يصبحون الكتلة الأكبر، ولن يكون بإمكان "إسرائيل" تجاهلهم، ومن أجل إبعاد تخوف العالم من رؤيتهم، فهم يطلقون تصريحات ضبابية، لكنها حركة تنظر لاتفاق السلام مع "إسرائيل" على أنه غير شرعي.

ورأى جيورا آيلاند الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات العسكرية، ومعهد أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي، أن سيطرة الإخوان المسلمين على المنطقة تنطوي على تغيير استراتيجي خطر بالنسبة لـ "إسرائيل"، وهذا سيناريو تترتب عليه تداعيات خطيرة للغاية مثل:

1. أن تشعر حماس بثقة كافية تجعلها تسعى نحو تحقيق نتيجة شبيهة في السلطة الفلسطينية، بحيث يضع حداً للعملية السياسية مع "إسرائيل".
2. أن تحذو دول أخرى في الشرق الأوسط، مثل الأردن، حذو مصر⁶⁴.

⁶³ مرسي لن يتحدث مع إسرائيل أبداً، موقع وكالة الأناضول، 2012/11/2، انظر: <http://www.aa.com.tr/ar/arap-world/96194>

⁶⁴ مركز مدار، إسرائيل أمام منعطفات حاسمة: العالم والشرق الأوسط في خضم الاضطرابات! (الملخص التنفيذي لمؤتمر هرتسليا 2011 حول ميزان المناعة والأمن القومي في إسرائيل)، سلسلة أوراق إسرائيلية 54، 2011/9/18، ص 37، انظر: <http://bit.ly/1O9YWWM>

3. عدم قدرة "إسرائيل" القيام بما قامت به على مدار 32 عاماً، منذ توقيع اتفاق السلام الإسرائيلي-المصري، وكان بإمكانها أن تشن حروباً وعمليات عسكرية على أطراف عربية، بما في ذلك حربان على لبنان في 1982 و2006، وعملية "السور الوافي" في الضفة الغربية في 2002، وحرب 2008 على غزة، دون أن تخشى ردة فعل مصرية، لكن في حال سيطرة الإسلاميين على السلطة هناك، فهذا الأمر لن يتكرر في المستقبل.

4. اضطرار الجيش الإسرائيلي لأن يجازف قليلاً في بناء قوته العسكرية، بعد أن باتت مصر تشكل خطراً كبيراً عليه، لأن الوضع الجديد الناجم عن سيطرة الإخوان المسلمين قد يضطر "إسرائيل" لزيادة ميزانيتها الأمنية، وتغيير سلم أولويات جيشها⁶⁵.

وهو ما أكده جنرال الاحتياط داني روتشيلد Danny Rothschild⁶⁶ رئيس مؤتمر هرتسليا، الذي يتناول بشكل سنوي ميزان المناعة والأمن القومي في "إسرائيل"، أن ثمة خشية كبيرة من ازدياد نفوذ العناصر الإسلامية في مصر، وانتشار هذه الظاهرة في دول عربية أخرى، وإن عدم وجود عملية سياسية سيشكل ذريعة لتعزيز قوة عناصر رافضة ومتطرفة⁶⁷.

وقدر الإسرائيليون أن يكون السلام مع مصر أول ضحايا الثورة، لأنه في حال إجراء انتخابات فإن هناك احتمالات كبيرة بأن يفوز الإخوان المسلمون بأغلبية الأصوات، وسيصبحون العنصر المركزي في السلطة المصرية المقبلة، وفي حال حدوث ذلك فلن يمر سوى وقت قصير حتى يكون السلام مع "إسرائيل" مطالباً بدفع ثمن باهظ مقابل ذلك. صحيح أن هذا السيناريو متطرف للغاية، لكنه يُعدُّ واقعياً، فالفتات الوحيدة الملتزمة إزاء السلام مع "إسرائيل" في مصر هي المقربة من مبارك، وإذا لم يكن الرئيس المقبل منها، فمن المتوقع أن تواجه تل أبيب مشكلات جمة، فالإخوان المسلمون يتابعون

⁶⁵ تقارير خاصة: ثورة 25 يناير في قراءة إسرائيلية، مركز مدار، 2011/2/23، انظر: <http://bit.ly/23rig5Y>

⁶⁶ داني روتشيلد: ضابط في الجيش الإسرائيلي، تولى عدة مناصب عسكرية في جهاز الاستخبارات وهيئة الأركان العامة وقيادة وحدة الارتباط والتنسيق في لبنان، عين منسقاً لأعمال الحكومة في الضفة الغربية وقطاع غزة سنة 1991، وشارك في التفاوض مع الفلسطينيين والأردنيين، وترأس الطاقم الإسرائيلي في المفاوضات مع السلطة الفلسطينية، لكنه أعلن اعتزاله الخدمة في الجيش سنة 1995.

⁶⁷ مؤتمر هرتسليا: إسرائيل أمام منعطفات حاسمة، صحيفة العرب، لندن، 2013/3/14، انظر:

<http://www.alarab.co.uk/?p=18695>

الأحداث، ويبتغون أن تمنح لهم فرصة للسيطرة على السلطة، وجزوا أنفسهم لذلك على مدار ثمانين عاماً بصورة جعلتهم القوة الثانية بعد الجيش، وعززوا شعبيتهم بواسطة تقديم مساعدات للفقراء والمحتاجين بدلاً من الحكومة.

أكثر من ذلك، فقد بدأ إيال آيزنبرغ Eyal Eisenberg قائد المنطقة الجنوبية في الجيش الإسرائيلي، أكثر تطرفاً بقوله إن شتاءً إسلامياً راديكالياً قد يلي الربيع العربي، مما يزيد من مخاطر اندلاع حرب شاملة، مع إمكانية استخدام أسلحة دمار شامل، إذا سقطت بين أيدي مجموعات إسلامية⁶⁸.

يستذكر الإسرائيليون مع صعود الإخوان المسلمين عقب الثورات العربية ما فعله الإسلاميون في إيران شتاء 1977، مع بعض الفوارق، لكن الإخوان يتطلعون لأن يصبحوا حزباً تتعزز قوته في الانتخابات البرلمانية، وينضموا مع مرور الزمن لتحالف حكومي متعدد، وهنا، بالطبع، يكمن الخطر، و"إسرائيل" تأمل أن الجيش سيمنع سيطرة الإسلاميين في الفترة التي ستشهد فيها مصر تطورات مؤلمة تتعلق بالانتقال نحو نظام ديموقراطي.

وهو ما دفع يوسي بيلين Yossi Beilin⁶⁹ أحد رموز عملية التسوية، ونائب وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق، للقول إن تسليم العالم بنقل مقاليد الأمور للإسلاميين في أعقاب الثورات العربية عمل غير مسؤول، وإن الرئيس أوباما عاد للخطأ نفسه الذي وقع فيه الرئيس الأسبق جيمي كارتر حين تخلى عن شاه إيران سنة 1979، مما أدى في النهاية ليس فقط لسقوط الحكم الإمبراطوري في طهران، بل لتغيير جذري في المنطقة بأسرها⁷⁰.

لم يقتصر القلق الإسرائيلي من صعود الإسلاميين في مصر فحسب، بل امتد الوضع إلى سورية، حيث توالى التحذيرات من أن سقوط نظام الرئيس بشار الأسد سيترتب

⁶⁸ جنرال إسرائيلي: شتاء إسلامي متطرف سيقود لحرب شاملة تستخدم أسلحة دمار شامل، موقع تحت المجهر الأخباري، 2011/9/6، انظر: <http://www.almjhar.com/ar-sy/NewsView/81/16685.aspx>

⁶⁹ يوسي بيلين: بعد أدائه الخدمة العسكرية في الجيش الإسرائيلي دخل عالم الصحافة، ثم عينه شمعون بيريز ناطقاً بلسان حزب العمل اليساري، وانتخب لمنصب السكرتير العام للحزب، ثم مديراً عاماً بوزارة الخارجية الإسرائيلية، فوزيراً للاقتصاد، وهو أحد أبرز الشخصيات السياسية الإسرائيلية الداعية للسلام، والزعيم السابق لحزب ميرتس اليساري Meretz.

⁷⁰ إسلام عبود، الصهاينة والذعر من المد الإسلامي، مجلة البيان، لندن، 2012/1/30، انظر: <http://www.albayan.co.uk/Article2.aspx?id=1734>

عليه كارثة تقضي على "إسرائيل"، لظهور ما توصف بـ"إمبراطورية إسلامية" في منطقة الشرق الأوسط بقيادة الإخوان المسلمين في مصر والأردن وسورية، بالرغم من أن صعودهم سيخرج سورية من تحت الوصاية الإيرانية، لاختلافهم مع إيران وحزب الله أيديولوجياً⁷¹.

في سورية، وضع آيال زيسر، رئيس دائرة الشرق الأوسط بجامعة حيفا، ثلاث فرضيات لمآلات صعود الإسلاميين هناك، على النحو الآتي:

1. بقاء الحركات الإسلامية في الشرق الأوسط خلال السنوات الماضية أكثر تأييداً للنظام السوري، وعندما اندلعت الفعاليات الاحتجاجية، تخلت الحركات عن تأييده.
2. انهيار نظام البعث سيؤدي لصعود نظام إسلامي سني ضعيف، ويتوقع أن تواجه "إسرائيل" بعض عمليات العنف المتقطعة على الحدود.
3. صعود المعارضة الإسلامية لسدة الحكم، سيؤدي لاستبدال دمشق الحالية بأخرى أكثر معارضة لسياسات إيران وحزب الله، وفي الوقت نفسه حليفة لواشنطن وأوروبا، وهو الأفضل لـ"إسرائيل"⁷².

الخطر الواضح بنظر "إسرائيل" جراء صعود أنظمة إسلامية يعود لكونها مصممة على تطبيق أولوياتها الأيديولوجية، ورغبتها باستغلال الفراغ السلطوي في المناطق الحدودية لتطويع قدراتها العملياتية، وتصعيد الهجمات على "إسرائيل" بناء على تفكيرها الخاص، لأن هذا السيناريو قد يتحقق في جنوب لبنان وشبه جزيرة سيناء، وقد يحصل في جنوب شرق سورية، بل وفي غور الأردن.

لكن يارون فريدمان الأكاديمي المتخصص في القضايا الإسلامية بمعهد التخنيون حدد ثلاثة أسباب رئيسية لصعود الحركات الإسلامية عقب الربيع العربي، وهي:

1. لم تقم في العالم العربي معارضة قوية ومنظمة بديلة عن الأنظمة المستبدة سوى الحركات الإسلامية.

⁷¹ جنرال إسرائيلي: سقوط الأسد قد يؤدي إلى إقامة إمبراطورية إسلامية، صحيفة الشرق الأوسط، لندن، 2011/11/17، انظر:

<http://archive.aawsat.com/details.asp?section=4&article=650141&issueno=12042#.VTidXyFViko>

⁷² إسرائيل تخشى سقوط الأسد... وحكم "الإخوان"، الأخبار، 2011/4/26، انظر: <http://www.al-akhbar.com/node/10841>

2. كان لهذه الحركات الإسلامية على الدوام صورة إيجابية في نظر الجماهير الفلسطينية.

3. تفضيل الناخبين للإسلاميين بسبب نجاح دعايتهم التي تقول إن الأنظمة العلمانية في العالم العربي تتعاون مع الولايات المتحدة والغرب، وتعترف بوجود "إسرائيل"⁷³.

ولذلك أسهم صعود الإسلاميين بصورة عامة بنظر "إسرائيل" بإيجاد محيط إقليمي أكثر توتراً وأقل أمنياً يوماً بقدر أكبر، فضلاً عن توفر إمكانيات، وإن كانت متدنية، أن يتعاون الإسلاميون في البلدان العربية مع إيران، ولو لأسباب تكتيكية قصيرة المدى.

هذه التخوفات جعلت يورام إيتنغر Yoram Ettinger، المدير التنفيذي لـ "مركز التفكير الثاني: مبادرة إسرائيلية - أمريكية" Second Thought: A US - Israel Initiative يجزم بأن الثورات العربية ستقود الإسلاميين للحكم، وهذا الواقع سيؤسس لاندلاع المزيد من الحروب بين "إسرائيل" والعرب، مما يتطلب أخذ الاحتياطات الأمنية في حال تعرضت لحرب مفاجئة، وسيجعلها في مواجهة تداعيات أمنية وعسكرية خطيرة جداً، فضلاً عن إضراره بالمصالح الغربية في المنطقة، خصوصاً مع إقدام الولايات المتحدة على خطوات تعكس ضعفها، بانسحابها من العراق وأفغانستان، مما يعني أن توفير الأرضية للإسلاميين لوصول الحكم في ظل هذه التحولات سيكون مخاطرة كبيرة⁷⁴.

ووصل التحريض الإسرائيلي اعتبار وصول الإسلاميين مقدمة لأقول الولايات المتحدة، لأنها ستنتظر المصير نفسه الذي انتهى إليه الاتحاد السوفياتي سنة 1989، فوصول الإسلاميين للحكم يعني بداية غرق سفينة الغرب بأسره.

وتواصل الغضب الإسرائيلي على الإدارة الأمريكية لأنها "سمحت" بمشاركة الإسلاميين في العملية السياسية، فقد رأى دوف فايسغلاس Dov Weisglass مدير

⁷³ المطالبة بالتنبه لما قد يفرزه "التسونامي الإسلامي" من تطويق حدود الكيان الصهيوني، موقع المركز الفلسطيني للإعلام، 2012/1/1، انظر:

<https://www.palinfo.com/site/pic/newsdetails.aspx?itemid=80558>

⁷⁴ مجدي طه، العلاقات الإسرائيلية المصرية في ظل ثورة يناير وأبعادها، مركز الدراسات المعاصرة، 2011/2/10، انظر: <http://derasat.ara-star.com/full.php?ID=35#.VTioZCFViko>

ديوان رئيس الوزراء الأسبق أرييل شارون Ariel Sharon⁷⁵، والمسؤول عن تنسيق العلاقات الاستراتيجية مع واشنطن، أن مشاركة الحركات الإسلامية في العملية السياسية في العالم العربي في مرحلة ما بعد الثورات يمثل مصيبة لـ"إسرائيل" تتحمل إدارة أوباما جزءاً مهماً من المسؤولية عنها، لأنه سيفضي لزيادة التطرف، وإيجاد ظروف لا تسمح باحترام الاتفاقيات التي تم توقيعها بين "إسرائيل" والعالم العربي⁷⁶.

فيما رأى إلياكيم هعتسنا Elyakim Hatsena أحد قادة المستوطنين اليهود في الضفة الغربية أن وصول الإسلاميين الحتمي للحكم بفضل الثورات العربية سيشكل دعماً كبيراً لحماس، وتهديداً استراتيجياً لـ"إسرائيل"، وتقليص قدرتها على العمل ضدّ الحركة، مع إمكانية كبيرة أن يزود الحكم الإسلامي الجديد في مصر حماس بتجهيزات ومعدات حربية لوجيستية دفاعية، وقد تقف مصر "الإسلامية" خلف عمليات عسكرية على طول الحدود مع "إسرائيل"⁷⁷.

ورأت "إسرائيل" أن سيطرة الجماعات الإسلامية على المنطقة عقب اندلاع الثورات العربية يعني تحولها إلى قوة مركزية في الشرق الأوسط، واصفة ذلك بالأنباء السيئة لها، والمفرحة لحماس وجماعات أخرى، لأن مصر، وسورية، والأردن، واليمن وغيرها، تشهد تزايداً لصعود الجماعات الإسلامية.

⁷⁵ أرييل شارون: انخرط في صفوف الهاجاناه، قاد اغتالات واعتقالات كبيرة ضدّ المقاومين في غزة، سعى لتعميق الاستيطان في الضفة الغربية وقطاع غزة، ومن أشد معارضي اتفاقيات كامب ديفيد، تولى حقيبة الدفاع، ودعا للتخلص من منظمة التحرير وإخراجها من لبنان، ونفذ مذابح صبرا وشاتيلا في سنة 1982 وراح ضحيتها الآلاف من الفلسطينيين، ثم تولى حقيبة التجارة والصناعة، ثم الخارجية، وتولى رئاسة حزب الليكود بعد فشل نتنياهو في انتخابات 1999، ونفذت قوات الاحتلال في عهده المجازر ضدّ الشعب الفلسطيني في جنين، وتمت محاصرة كنيسة المهدي لمدة طويلة، لكنه انسحب من حزب الليكود، وأسس حزب كاديما، إثر الخلافات التي نشبت في أعقاب تنفيذ خطة الانسحاب أحادي الجانب من قطاع غزة، ووقد في غيبوبة متواصلة لمدة ثماني سنوات، حتى أعلنت وفاته أوائل 2014.

⁷⁶ صالح النعامي، إسرائيل توظف فوز مرسي في ابتزاز أوباما، موقع البشير، الإسلام اليوم، 2012/7/18، انظر: <http://www.islamtoday.net/albasheer/artshow-14-170527.htm>

⁷⁷ إلياكيم هعتسنا، ربيع الشرق الأوسط.. لا تغيير ولا دراماتيكي، موقع وكالة أخبار الشرق الجديد، 2012/10/24، انظر: http://174.142.100.248/news/fullnews.php?news_id=28175

في المقابل، هناك من كان أقل مبالغة بين الإسرائيليين، مثل إيهود يعاري Ehud Yaari⁷⁸ الذي رأى أن ما جرى في الدول العربية ليس إعصاراً فحسب، بل غيمة كبيرة تلبد سماء الشرق الأوسط، حيث يصعد الإسلاميون للسلطة دون تخطيط مسبق، وفوزهم في الانتخابات سيضعهم بمواجهة معضلات كثيرة، على الرغم من أنهم سيوحدون صفوفهم في مواجهة "إسرائيل"⁷⁹.

وهكذا أسفرت الثورات العربية عن ظهور استنتاجات كثيرة في الوسطين العسكري والأمني الإسرائيلي، أبرزها أن "إسرائيل" لا يمكنها سوى الاعتماد على نفسها وعلى قوتها العسكرية، مما يستلزم زيادة الميزانية الأمنية، لأن السيناريوهات المطروحة لمستقبلها في المنطقة تراوحت بين التفاؤل والتشاؤم.

وكان فحوى السيناريو الأكثر تشاؤماً أن حالة عدم الاستقرار في المنطقة ستتيح لعناصر إسلامية إمكان السيطرة على السلطة، وهو ما من شأنه أن يلحق ضرراً كبيراً بوضع "إسرائيل" الإقليمي.

سادساً: المخاطر العسكرية:

أيقنت "إسرائيل" أن النتيجة الأولى المباشرة للثورات العربية جعلتها تعيش في منطقة غير مستقرة، ولذلك فإن حاجاتها الأمنية ستزداد، مما يقتضي زيادة الميزانية العسكرية، خشية من تحول البلدان المجاورة عقب الثورات إلى "دول مواجهة"، ما يعني أن الشكوك التي تلف مستقبل العلاقات معها منذ سقوط أنظمتها، سترغم "إسرائيل" على مراجعة استراتيجيتها العسكرية في مواجهتها.

وقد شرعت الأوساط العسكرية الإسرائيلية فور اندلاع الثورات تعيد من جديد رسم خريطة التهديدات الأمنية التي تواجهها، والجبهات المرشحة لأن تصبح ساحات قتال حقيقية، على النحو التالي:

⁷⁸ إيهود يعاري: صحفي إسرائيلي، متخصص في قضايا الشرق الأوسط، أجرى مقابلات مع عدد من الشخصيات المهمة والمرتبطة بالصراع العربي الإسرائيلي، كياسر عرفات والملك حسين ومبارك وعدد من رؤساء الوزراء الإسرائيليين، يعمل حالياً للقناة الثانية الإسرائيلية، وإعطاء محاضرات حول العالم.

⁷⁹ تقرير إسرائيلي: صعود القوى الإسلامية إلى سدة الحكم في أكثر من دولة عربية يُشكل تهديداً استراتيجياً لئل أبيب، القدس العربي، 2012/9/18، انظر:

<http://www.alquds.co.uk/pdfarchives/2012/09/09-17/qar.pdf>

1. الجبهة الشرقية: تعيش "إسرائيل" مع الأردن أجواءً من الشكوك، لاثامها بالجمود السياسي.
2. الجبهة الجنوبية: تحول شبه جزيرة سيناء ساحة للمنظمات الجهادية التي تستهدف الجيش المصري، والحدود مع "إسرائيل" في بعض الأحيان.
3. الجبهة الشمالية: في ظل وجود حكومة موالية أو يسيطر عليها حزب الله، فقد المعسكر المعتدل في الشرق الأوسط محوراً مهماً وأساسياً، واندلاع الصراع في سورية.
4. الضفة الغربية وقطاع غزة: طرحت التطورات تخوفاً أن يتلقى الفلسطينيين شهية الخروج للشارع⁸⁰.

وفي حين مثلت بعض هذه الجبهات قبل الثورات العربية، استحقاقات رئيسية في الاستراتيجية العسكرية الإسرائيلية، واستهلكت زخم مؤسستها الأمنية، لكن الثورات أذنتها بأن المشهد والمعادلة قد يقبلان على تغيير جذري وحاسم ومقلق، مما أدخلها في حالة من الضبابية والتشويش وانعدام التوازن، على مستوى تشخيص التهديدات أولاً، والسبل الكفيلة بمواجهتها ثانياً.

هذا يعني أن "جبهات المواجهة" في الشرق الأوسط اتسعت في الآونة الأخيرة، مما يتطلب من الجيش الإسرائيلي أن يكون على أهبة الاستعداد للحرب المقبلة الشاملة في بضع جبهات، خصوصاً وأن الاستخبارات الإسرائيلية لا تملك القدرات الكافية للتنبؤ بوقوع ثورات كما حدث في مصر وتونس وليبيا.

هيليل فريش Hillel Frisch، أستاذ دراسات الشرق الأوسط والباحث في مركز بيجن - السادات للأبحاث الاستراتيجية The Begin-Sadat Center for Strategic Studies (BESA) بجامعة بار إيلان، رأى أن الانعكاس الفوري لنجاح الثورة المصرية أشبه ب"قطار تحت الأرض لتهديب وسائل قتالية"، لإمداد قوى المقاومة، وتحول "الجبهة الجنوبية في غزة إلى نقطة ذات خطورة عالية جداً، أكثر من الجبهة الشمالية في لبنان"، وربما ينقل المصريون جيشهم إلى سيناء بشكل دائم، فيما سيعود الإسرائيليون

See site of Israel Defense Forces (IDF), 18/7/2011, http://dover.idf.il/IDF/News_Channels/bamahana/default.htm⁸⁰

لوطأة أيام الاحتياط كما السنوات السابقة لحرب الأيام الستة سنة 1967، وليس معروفاً إلى أي مدى سيكون المجتمع الإسرائيلي قادراً على البقاء في وطأة كهذه⁸¹.

كل ذلك يعني أن مستجدات الواقع المحيط بـ"إسرائيل"، وتعزز قوة المعسكر المعادي لها في المنطقة، ينطوي على مخاطر جمة، يتطلب منها أن تكون مستعدة في أكثر من جبهة، ويحمل دلالات مهمة بالنسبة لجيشها، وفي الوقت نفسه تجهيز الجبهة الداخلية لتصبح أفضل مما كانت عليه في أثناء حربي لبنان الثانية في صيف 2006، وغزة في شتاء 2008-2009، ويستلزم قيامها باستعدادات سياسية وعسكرية لمنع هذه التغيرات من التحول إلى تهديدات استراتيجية.

ويمكن رصد أهم التغيرات العسكرية التي طرأت على المخططات الإسرائيلية عقب اندلاع الثورات العربية، من خلال الشواهد التالية:

1. رفع الميزانية الأمنية والعسكرية: اعتادت السياسة الإسرائيلية على استغلال أي تطور أمني، أو اعتداء من جانبها على العرب للحصول على الثمن أو التكلفة من الولايات المتحدة، واستغلت الانتفاضات العربية الأخرى في دعم ميزانيات الأمن، فقد طالبت وزارة الدفاع بزيادة في ميزانيتها بـ 700 مليون دولار لتطوير أنظمة مضادة للصواريخ⁸².

وجاءت التحذيرات على لسان عاموس يدلين رئيس الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية الذي أكد أنه إذا صحّت "التوقعات السوداء" وتحققت، وسقطت الأنظمة الموالية، وعادت مصر لتصبح عدواً، فسيقود ذلك للحديث عن ميزانية مختلفة للأمن، وبناء قوات الجيش بشكل آخر تماماً، وزيادة كبيرة في عدد الفرق والألوية، بالرغم من أن ذلك لن يحدث بسرعة لأن تغيير النظام يستغرق وقتاً، وكل نظام جديد بحاجة لوقت إضافي لبناء نفسه، وفي هذه الأثناء بوسع "إسرائيل" بناء قوة جيشها وفقاً للوضع الجديد، وهذا يستغرق سنوات⁸³.

⁸¹ عدنان أبو عامر، تأثيرات ونتائج الثورات العربية على المشهد الصهيوني.

⁸² معاريف، 2011/3/8. (بالعبرية)

⁸³ قد يتغير الجيش بسبب مصر، يديعوت أحرونوت، 2012/4/22، انظر: <http://www.ynet.co.il/articles/0,7340,L-4219496,00.html> (بالعبرية)

يؤشر كل ذلك إلى المعضلة التي ستواجهها "إسرائيل" في التعاطي مع تأثيرات الثورات العربية، فزيادة نفقات الأمن بشكل كبير تُفجّر مخاوف من أن يسهم ذلك في تقليص معدلات النمو، وبروز مظاهر الركود الاقتصادي، مما سيجد ترجمته في تراجع إجمالي الناتج المحلي الإسرائيلي بشكل كبير، وهذا يعني زيادة كبيرة في الحيز الذي تشغله موازنة الأمن في الموازنة العامة للدولة وإجمالي الناتج المحلي، ما قد يهدد بعودة الدولة للظروف نفسها التي مرّت فيها بعد حرب سنة 1973، وما يعنيه هذا من استحالة النمو إلى ركود، واستفحال التضخم⁸⁴.

ولذلك طرح الخبراء الإسرائيليون على صناع القرار "سؤال الأسئلة" على جدول الأعمال: هل ما يحصل في الدول العربية يشكل "تغييراً استراتيجياً" يستدعي فحص ميزانية الدفاع، حجمها، وتركيبها، المتعلقة أساساً بمتغيرات عسكرية كبيرة للغاية، كحجم القوة المقاتلة: في البحر والجو والبر، ومستوى المخزون من الذخيرة، كقطع الغيار والوقود.

لذلك لم يوجد إجماع إسرائيلي على وجود مسوّغ ملحّ لزيادة موازنة الأمن عقب الثورات العربية، فعلى الرغم من تحفّظات أرباب المرافق الاقتصادية وبعض الخبراء على الاتجاه الرسمي العام بشأن زيادة موازنة الأمن، لأنه من السابق لأوانه الحكم على مآل الثورات العربية، وتداعياتها على "إسرائيل"، لكن حالة الضبابية وانعدام اليقين التي أسفرت عنها التطورات، ستدفعها للقيام باحتياطات أمنية كبيرة تُرهق خزينتها، وتحاول الاعتماد على المساعدات الأمريكية الإضافية لتغطية نفقاتها العاجلة، في المجالين الأمني والعسكري.

لكن الثورات العربية، وفقاً لعومر جندلر Omer Gendler، الباحث الإسرائيلي في الشؤون الاستراتيجية، أحييت لدى الإسرائيليين مخاوف أمنية من أن تسفر عن بيئة استراتيجية جديدة تعيد اقتصادهم للمربع نفسه الذي وُجد فيه بُعيد حرب 1973، وبات يُطلق عليه "متلازمة 73"، ودفعت حالة الضبابية وانعدام اليقين التي أسفرت عنها الثورات، بـ"إسرائيل" للقيام باحتياطات أمنية كبيرة تُرهق خزانتها⁸⁵.

⁸⁴ خيارات محدودة: الدور الإسرائيلي في شرق أوسط متغير، مركز الروابط للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2015/2/24، انظر: <http://rawabetcenter.com/archives/4277>

⁸⁵ موازنة الأمن ستعاظم، وسيقوى ارتباط إسرائيل بالولايات المتحدة، 2011/2/28، انظر: <http://omergendler.blogspot.com/2011/02/defense-budget-will-increase.html> (بالعبرية)

لذلك جاءت الزيادة المتوقعة في حجم الإنفاق الإسرائيلي على الدفاع والتسليح، لمواجهة التغييرات الاستراتيجية المحتملة لسقوط الأنظمة الموالية، مما أدى لرفع موازنة الحرب من إجمالي الناتج المحلي الإسرائيلي، بالرغم من أنها تخوفات مبالغ فيها، وتهدف لتبرير زيادات غير واقعية في ميزانية الأمن.

مع العلم أن تقليص موازنة الحرب الإسرائيلية، عقب توقيع معاهدات كامب ديفيد مع مصر، وأوسلو مع الفلسطينيين، ووادي عربة مع الأردن، سمح لـ"إسرائيل" بتوجيه الموارد لسداد فوائد الديون، وتوجيهها لقطاعات الصحة والتعليم والإسكان، ما يعني أن السلام والاستقرار أسهما بتمكينها من اتباع سياسة اقتصادية اجتماعية ضمنت تكريس أسس دولة الرفاه، لتكون بيئة جاذبة للهجرة اليهودية.

لكن الثورات العربية مثلت، كما يقول عويد عيران، السفير الإسرائيلي الأسبق في الأردن، تهديداً للاتفاقيات التي أتاحت لـ"إسرائيل" تقليص نفقات الأمن، ومضاعفة الاستثمار في المجالات المدنية التي تعزز النمو، وتبعد شبح الركود الاقتصادي، وبالتالي فرضت إدخال تغييرات جذرية على حجم ميزانية الأمن وبنيتها، وأعدت صياغة سلم الأولويات بشكل جذري، ومنها المجال الاقتصادي⁸⁶.

لكن "إسرائيل" لجأت للولايات المتحدة طالبة مساعدات أمنية إضافية بقيمة 20 مليار دولار لمساعدتها على مواجهة الأخطار المحتملة الناجمة عن الانتفاضات الشعبية في العالم العربي، لأن المساعدات العسكرية النوعية باتت أساسية أكثر بالنسبة لها، لتعزيز أمنها للجيل التالي أو غيره، لتكون قادرة على أن تصبح عامل استقرار في المنطقة المضطربة، ولا يتعين عليها أن تخشى التغيير في المنطقة، أو تقديم تنازلات جريئة في محاولة جديدة لتحقيق السلام مع الفلسطينيين.

وكان مثيراً ما أعلنه الخبير العسكري الإسرائيلي رؤوبين بدتسور Reuven Pedhtisor الذي رأى أن ما تطرحه الدوائر العسكرية حول تطورات الثورات العربية من سيناريوهات رهيبية، مبالغ فيها، لأنها تخدم وزارة الدفاع في انتزاع إضافات جديدة لميزانيتها⁸⁷.

⁸⁶ دراسة: عام بعد الربيع العربي.. أمن إسرائيل في خطر، موقع إسلام أون لاين، 2012/3/11، انظر:

<http://islamonline.net/ar/212>

⁸⁷ رؤوبين بدتسور، جيش دفاع لميزانية الأمن، مركز أطلس للدراسات والأبحاث، 2013/8/4، انظر:

<http://atls.ps/ar/index.php?act=post&id=2032>

وهكذا دفعت التغيرات العربية صناع القرار الإسرائيلي للتعامل معها من خلال زيادات في: نفقات الدفاع، وحجم الجيش النظامي، والاستثمار في مجال الدفاع الصاروخي، وقوة سلاح البحرية، والبحث والتطوير.

2. الجبهات العسكرية المحتملة: رسم وزير الجبهة الداخلية السابق ماتان فيلنائي Matan Vilnai ما عدّه سيناريو الرعب في أيّ حرب مستقبلية عقب الثورات العربية، عبر سقوط آلاف الصواريخ يومياً لمدة شهر كامل، واستهداف محطات إنتاج الطاقة والبنى التحتية، والمؤسسات الاقتصادية، وتعرض تل أبيب لقصف مكثف، وارتفاع أسنة النيران من مواقع استخراج الغاز⁸⁸.

ورأى طيف واسع من الأمنيين والاستراتيجيين الإسرائيليين أن ما وصفوه بـ"الاضطرابات الإقليمية" سيكون لها انعكاس بالغ على عمليات بناء القوة في الجيش الإسرائيلي، مما يتطلب منه أن يكون أكثر مرونة، وجاهزية لمواجهة كافة الاحتمالات، ابتداءً من الحرب الكلاسيكية، مروراً بالمواجهات مع المقاومة وحرب العصابات، وانتهاءً بمواجهة زعزعة شرعية وجود الدولة عبر التظاهرات على الحدود.

وبات واضحاً منذ الأشهر الأولى لاندلاع الثورات العربية أن هذه الهزة الإقليمية سيكون لها تأثيراتها على مساعي بناء القوة في الجيش الإسرائيلي، لأنه سيكون مضطراً ليغدو أكثر مرونة، ويتكيف مع سيناريوهات مختلفة من الحرب التقليدية، إلى مواجهة العمليات المسلحة، وصولاً للتصدي للتهديدات على الشرعية الإسرائيلية من: التظاهرات على الحدود، إلى الاستفزازات، وصولاً لاحتمال تدفق لاجئين جراء حرب أهلية.

وقال رئيس هيئة أركان الجيش السابق بني جانتس إن قوس التهديدات في ظلّ التغييرات في الشرق الأوسط اتسع كثيراً منذ اندلاع الثورات العربية: بدءاً من السكين، وحتى الأسلحة النووية، فتهديدات الماضي ما تزال قائمة، وتتطور تهديدات جديدة تتطلب قدرة على العمل في عدة جبهات بقوة وبحزم، ويجب حسمها خلال فترة قصيرة،

⁸⁸ "مئات الصواريخ يومياً" على إسرائيل... فلنأني: لنستعد لحرب إقليمية قاسية، السفير، 2011/6/4، انظر:

<http://assafir.com/Article/240002>

مع ظهور لاعب مركزي جديد في الشرق الأوسط هو "الشارع"، وإن التهديدات الجديدة التي تضاف للتهديدات القائمة تتطلب ميزانية أكبر للأجهزة الأمنية⁸⁹.

وظهرت مطالبات جديدة من الجيش بأن يفكر على المدى الطويل بإعادة تشكيل فرقة عسكرية للجبهة الجنوبية بعد تفكيكها إثر توقيع السلام مع مصر.

وهكذا وجد الجيش الإسرائيلي نفسه فجأة أمام ثلاث جبهات عسكرية جديدة: لبنان شمالاً؛ مصر جنوباً؛ وحماس في غزة، ما يعني أن وضعه الاستراتيجي والعسكري في الشرق الأوسط سيتغير، بما يحمله ذلك من تقدير بالقضاء على المسيرة السياسية، والإساءة لوضع الأمن الإسرائيلي، ودفع به لأخذ إجراءات عسكرية أكثر.

وخشيت "إسرائيل" من انتقال الثورات العربية لباقي الحدود المجاورة، وحينها ستصبح "جزيرة منعزلة في محيط من الكراهية"، لأن شرقاً أوسط جديداً سيتشكل فوراً، ما يتطلب منها أن تكون جاهزة، لأن الأجواء تجاهها في المنطقة تختلف عن "الفترة الذهبية" السابقة، مما دفعها لوصف الثورات العربية بـ "الإنذار الاستراتيجي"⁹⁰.

ووضعت محافل أمنية إسرائيلية خلاصات أولية من الثورات العربية على النحو التالي:

- أ. انعدام الاستقرار، وتبني مواقف ودية أقل من "إسرائيل".
- ب. إضعاف النفوذ الإيراني في سورية ولبنان، وتعزيز التحالف المناهض لها في الخليج العربي.
- ج. تعثر إيجاد حلول للنزاع الطويل مع سورية ولبنان والفلسطينيين.
- د. انخفاض أهمية مصر وسورية لانشغالهما بشؤونهما الداخلية، وارتفاع التأثير الإقليمي لتركيا والسعودية.
- هـ. تزايد نفوذ الإخوان المسلمين، لاختلافهم عن العلمانيين بنظرتهم لـ "إسرائيل"، فهم منظمون جيداً سياسياً واجتماعياً أفضل من أي قوة أخرى، وامتلاء ميادين التحرير بمناصريهم، أعطى شرعية لأنشطتهم.

⁸⁹ غانتس: الثورات العربية وضعت تحديات أمنية أمامنا، فلسطين أون لاين، 2011/9/28، انظر: <http://bit.ly/28eRJLK>

⁹⁰ إيتان هابر، جزيرة منعزلة، يديعوت أحرونوت، 2011/2/1. (بالعبرية)

3. إعادة بناء الجيش الإسرائيلي: أوجدت الثورات العربية، وضعاً أمنياً هو الأكثر خطورة بالنسبة لـ"إسرائيل" منذ نهاية الحرب الباردة، والأسوأ مما كانت عليه في العقدين الأخيرين، لا سيّما بعد أن تراجع نفوذها بعد ثورات الشرق الأوسط، واضطرها لإعادة النظر في منظومة الجيش على النحو التالي:

أ. بناء القوة، ومستوى المخزون من الذخيرة.

ب. رفع ميزانية الحرب، وإحداث تغيير في تركيبها⁹¹.

ج. التوجه قدماً نحو مواجهة التحديات الجديدة، والتعهد بملاءمة الجيش للتحديات الماثلة أمامه، والقيام بمهامه على أحسن وجه، وتعزيز قوته، وتحسين جهوزيته.

د. إدخال تعديلات هيكلية جذرية على الجيش، بحلّ فرق نظامية، وتحويل أخرى لفرق احتياط⁹².

أحد التغييرات التي عملت وتعمل عليها قيادة الجيش الإسرائيلي بعد الحراك العربي هي تهيئة القوات العسكرية على خوض معارك مع تشكيلات عسكرية تقاوم بطرق عمل غير كلاسيكية، أو ما يعرف بالحرب غير المتكافئة، وهي نمط من العمليات يقع دون الحرب الكلاسيكية وفوق حرب العصابات من حيث طرق العمل وأدوات القتال.

من الناحية الميدانية، أعلن سلاح الهندسة في الجيش الإسرائيلي إغلاق عدة طرقات على الحدود مع مصر، بواسطة جدران ذات فتحات شبكية دقيقة، يتعذر دخول الأصابع من خلالها، سيضع على حافتها زوايا حديدية حادة، لا تسمح لأحد وضع يده عليها، وسيقل هذا الجدار النموذجي بمروحيات ضخمة، لتركيبه على الأرض، وتقوم أجهزة المراقبة والتحكم الأرضية بإنشاء مراكز للإشراف عليها⁹³.

⁹¹ وثائق وتقارير: الربيع العربي ينطوي على إسقاطات كثيرة تتعلق بالجيش الإسرائيلي وعملياته العسكرية وجهوزيته في شتى الجبهات، مركز مدار، 2012/4/5، انظر: <http://bit.ly/1VHhLIC>

⁹² نضال وتد، جيش الاحتلال على طريق التغيير، العربي الجديد، 2015/3/26، انظر: <http://bit.ly/1UCxNuL>

⁹³ عدنان أبو عامر، القلق الإسرائيلي من مصر الجديدة، الجزيرة.نت، 2012/10/4، انظر: <http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/5c6bf8d9-c87f-4e99-a598-13fb2227816e>

وطرح إفرام سنيه، نائب وزير الدفاع السابق، خطوات عسكرية على المدى القريب قد يتخذها لمواكبة مخاطر الثورات العربية، هي:

1. إعادة احتلال محور صلاح الدين الحدودي بين غزة ومصر؛ وتسريع بناء الجدار الحدودي.
2. بناء قوة الجيش بمنأى عن الفرضية السائدة منذ ثلاثين عاماً، بأن مصر لم تُعدّ عدواً عسكرياً.
3. زيادة الاعتماد على الغاز الطبيعي من حقول الغاز الموجودة في مياه "إسرائيل" الإقليمية.
4. تعزيز المحور المعتدل المتبقي في المنطقة المكون من: "إسرائيل"، والأردن، والسلطة الفلسطينية⁹⁴.
5. إعادة تجهيز جنود الاحتياط، ونشر المزيد من وحداتها في غزة والضفة وعلى الحدود، خشية من حالة الفوضى التي قد تسود الحدود المجاورة، وعدم قدرة السلطات العربية على السيطرة على ما يجري هناك.
6. بناء جدار على حدود هضبة الجولان، بذريعة منع الفلسطينيين من اختراق الحدود، ووصول بلدة مجدل شمس، بارتفاع ثمانية أمتار وطول أربعة كيلومتر.

وأعلن الناطق بلسان الجيش الإسرائيلي أفيخاي أدراعي Avichay Adraee مواصلة تدريبات عسكرية واسعة لتتويج خطة خماسية رداً على مخاطر ناجمة عن الثورات العربية، وسط تكهنات بأنها تمهد لحرب جديدة محتملة في المنطقة، لأن "إسرائيل" لن تبقى مكتوفة الأيدي تجاه المخاطر الناجمة عن التطورات العاصفة في الشرق الأوسط، فهناك تحديات متنوعة، وهي محاطة بأعداء، وليست مقاطعة في سويسرا⁹⁵.

وتطلب ربيع الشعوب العربية من "إسرائيل" ما يوصف بـ "حلول إبداعية"، وإلا فإنه سينتقل لـ "باحثها الخلفية"، وربما ينفجر في وجهها، مع توقع أن تسفر الثورات

⁹⁴ "مختارات من الصحف العبرية"، نشرة يومية إلكترونية، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2011/2/1، انظر: <http://www.palestine-studies.org/daily/mukhtarat-view/135915>

⁹⁵ إسرائيل تعيش هاجس الثورات العربية و"حرب لبنان الثانية"، موقع قناة المنار، 2012/2/1، انظر: <http://www.almanar.com.lb/adetails.php?eid=176809>

عن حصول تفكك عربي كما حدث في الاتحاد السوفيتي، وانشطاره إلى 15 جمهورية، وتشيكوسلوفاكيا إلى دولتين، ويوغوسلافيا إلى 7 دول.

وقد يرتفع عدد الدول العربية لأكثر من ثلاثين دولة، فالسودان ينفصل شمالاً وجنوباً، وليبيا تنفصل إلى بنغازي وطرابلس، وسورية إلى جنوب وشمال، وربما دولة الثالثة، والسلطة الفلسطينية مقسمة في غزة والضفة⁹⁶.

لقد ارتكزت أسس النظرية الأمنية الإسرائيلية قبل سنة 2006، على:

1. الردع.

2. الإنذار.

3. الحسم.

وبعد حرب تموز/ يوليو 2006، وما أعقبها من حروب على غزة 2008، و2012، و2014، وما شهدته وتشهده المنطقة العربية من اضطرابات وأحداث، أضيف للمركزات الثلاثة السابقة الآتي:

1. الحماية.

2. الإحباط والمنع.

3. التحالف مع أمريكا.

4. التحالفات الإقليمية.

5. التأقلم.

وهكذا رأَت النخب الأمنية الإسرائيلية أن تفجّر الثورات العربية، وإسقاطاتها المحتملة، تفرض على "إسرائيل" إعادة صياغة عقيدتها الأمنية من جديد، والمبادرة لإحداث تغييرات جوهرية في بنية الجيش، وطابع استعداداته، مما يستدعي زيادة موازنة الأمن، وإعادة صياغة مركباتها لتستجيب للتهديدات المتوقعة، وترفع من وتيرة المسوغات التي يقدمها قادة جهاز الأمن؛ لتبرير المطالبة بزيادة النفقات الأمنية.

⁹⁶ يعقوب عميدور، الشرق الأوسط.. امتحانات صعبة، موقع مَغْرَس، 4/1/2011، انظر:

<http://www.maghress.com/almassae/123651>

Israeli Security System and the Arab Uprisings

هذا الكتاب

تحاول الدراسة تسليط الضوء على طبيعة التفاعل الأمني الإسرائيلي مع الثورات وحركات التغيير في المنطقة العربية، من خلال رصد الأجهزة الأمنية للحراك العربي في شوارع العواصم المحيطة، والإجراءات الأمنية المتلاحقة لوقف النتائج السلبية لهذه الثورات على الواقع الإسرائيلي، والتنسيق الأمني الذي بادرت إليه المنظومة الإسرائيلية مع حلفائها في المنطقة وحول العالم، لكبح جماح المد الثوري العربي.

وإستخدام الكاتب في الدراسة الأسلوب الوصفي والتحليلي، لتتبع الموقف الأمني الإسرائيلي من الثورات العربية، وتحليل أبعاده وتداخلاته المحلية والإقليمية والدولية، مستعيناً بمعظم ما صدر عن المنظومة الأمنية الإسرائيلية ومراكز البحث، من دراسات وتقييمات وتقديرات موقف، خصوصاً باللغة العبرية.

وتظهر الدراسة في فصولها الأربعة: أن التقييم الأمني الإسرائيلي للثورات العربية تلخص في أن ما بدأ "ربيعاً عربياً" يثير مخاوف الإسرائيليين من أن ينتهي (بالنسبة إليهم) إلى "شتاء إسلامي"، وهو ما قد يُغيّر وجه المنطقة العربية كلها.

ISBN 978-9953-572-58-1



مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

